ملخص البحث

اسم البحث: (المعنى والحكم النحوي عند فاضل السامرائي في كتابه (معاني النحو)).

اسم الباحث: محمد السيد عبده علي .

الوصف: استهدف هذا البحث الكشفَ عن دور المعنى النحوي في اختيار الدكتور فاضل السامرائي لآرائه النحوية وترجيحاته في كتابه "معاني النحو" ، وقد اعتمدت فيه المنهج المعياري النحوي، إضافة إلى استقصاء وحصر الآراء محل البحث.

واشتمل البحث على مبحثين ، الأول: دراسة تنظيرية عن المعنى النحوي، شملت المعنى النحوي عند القدماء والمحدثين وعلاقة المعنى النحوي بالحكم الإعرابي. وتناول المبحث الثاني آراء الدكتور فاضل في كتابه معاني النحو في ضوء المعنى، وفيه: الآراء النحوية والمعنى، والقاعدة والمعنى ، والتقدير والمعنى، والتداول والمعنى.

وأظهرت الدراسة نتائج يمكن جعلها نظرية المعنى عند الدكتور فاضل، وأهم ما فيها: التعبير بطرق مختلفة سواء أفي ترتيب عناصر الجمل أم في اختلاف علامات الإعراب ، وكل اختلاف في تقدير الإعراب أو المحذوف مرتبط بالمعنى. التقدير الملائم مع المعنى الصحيح قد يكون سببا لإجازته قاعدة إعرابية وإن خالف جمهور النحاة. لا يعتد بالحكم النحوي جائز ، واجب بل الأهم لديه أن لكل حكم معنى مغايرا يجب توخيه عند الحديث وفهم الخطاب. لا يعرب كل الأساليب فقد يكتفي بوصف الأسلوب بأنه أسلوب تعجب فقط مثلا. يختار الطرق الإعرابية الأيسر والبعيدة عن التكلف.

كلمات مفتاحية: المعنى ، الحكم النحوي ، فاضل السامرائي ، معاني النحو .

Research Summary

The name of the research: (meaning and grammar when Fadhil Samurai in his book (the meanings of grammar)).

Researcher name: Mohamed Elsayed Abdo Ali.

Description: This research aimed to reveal the role of grammatical meaning in the selection and weighting of Dr.

The research included two topics, the first: a theoretical study on the grammatical meaning, which included the grammatical meaning of the ancients and modernists and the relationship of the grammatical meaning to the Arab rule. The second topic dealt with the views of Dr. Fadel in the book meanings of grammar in the light of meaning, and in it: grammatical and meaning, and the rule and meaning, and appreciation and meaning, and deliberation and meaning.

The study showed results that could make the theory of meaning in the virtuous Fator, and most importantly: the expression in different ways, both in the order of the elements of sentences or in the different signs of the expression, and each difference in the estimation of the

expression or deleted linked to the meaning. Appropriate appreciation with the correct meaning may be a reason for passing a syntactic rule even if the public disagrees with the grammarians. Grammatical rule is not permissible. It does not express all methods, it may only describe the method as a method of exclamation only for example. Chooses the left and away from the cost of the syntactic methods.

Keywords: Meaning, grammar, Fadhil al-Samarrai, meanings of grammar.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على هادي الأمم وعلى آله وصحبه ومن بهداهم ائتم ، وبعد

فإن مجالات البحث النحوي متعددة وإدراكها ودراستها والإحاطة بها من النعم التي أدعوا الله أن يمن بها على عبده الفقير ، ومن هذه المجالات البحث في المعنى النحوي .

والدكتور فاضل السامرائي من العلماء المعاصرين الذين ولُّوا وجوههم شطر هذا المجال ، فألف كتابا في النحو العربي يشرح فيه معاني النحو ، والفروق بين التعبيرات والجمل بل بين الأحكام الجائزة في الكلمة الواحدة في الجملة، وما يترتب على ذلك من معان مختلفة يتغير على إثرها مراد المتكلم وفهم المخاطب ، فأحببت أن أستقرئ ما ارتآه من أحكام نحوية وأرى مدى تأثير المعنى النحوي ورؤيته في تغير المعنى لتغير الإعراب أو للتقديم والتأخير أو للحذف والإضمار الخ ، ومن هنا أردت أن يكون **موضوع البحث: (المعنى والحكم النحوي عند فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو)** .

دوافع البحث: "حين نقرأ في النحو ما يجوز من الأوضاع اللغوية وما لا يجوز فنحن نقرأ في عقل الأمة وقلبها ما يجوز في

المواضعات الفكرية وما لا يجوز"[١]. فالدراسة في معاني النحو ليست دراسة نحوية فقط بل ودراسة فكرية تَرُورٌ في عطائها ، والدكتور فاضل السامرائي من العلماء المعاصرين المبدعين في هذا المجال، وبناء على ذلك سعيت إلى بحث هذا الموضوع.

هدف البحث: البحث يهدف إلى الكشف عن دور المعنى في اختيار الرأي النحوي عند الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو .

منهج البحث: يحتكم البحث إلى المنهج المعياري النحوي ، فأقرب الظن أن مناقشة الآراء النحوية ومدار اختيارها هو عمل معياري ، والمعيار: "نموذج أو مقياس مادي أو معنوي لما ينبغي أن يكون عليه الشيء...والعلوم المعيارية هي التي تتجاوز دراستها وصف ما هو كائن إلى دراسة ما ينبغي أن يكون...وهي تقابل العلوم الوضعية أو الوصفية وهي التي تدرس ما هو كائن"[٢] ، "والاتجاه المعياري هو الاتجاه السائد في النحو العربي ، والمعيارية مبنية على أساس فكرة تقليدية مشهورة تمثلها العبارة الآتية: اللغة هي ما يجب أن يتكلمه الناس ، وليست ما يتكلمه الناس بالفعل" [٣].

ويعتمد المنهج المعياري على "القياس والتعليل والتأويل والتقدير والتنظير المؤطر بزمان ومكان"[٤].

والمنهج المعياري هو ما يتم الاحتكام إليه في دراسة الآراء النحوية بما يمتلكه من الأدوات السابقة الذكر ، ولعل المحدثين أحسوا بصعوبة الكلمة الفصل في منهج البحث النحوي ، يقول د. كمال بشر:" إن خطة الدراسة في النحو خليط من أمشاج وأنواع شتى من الاتجاهات والأفكار والمبادئ التي يصعب أن تعثر على الخيوط الواصلة بينها أو أن تدرك مدى ارتباطها بعضها ببعض"[٥]. بل وصل الأمر بأن جعل باحث النحو العربي مشتملا على مناهج البحث اللغوي الحديث كافة ، يقول بعد أن عرض لهذه المناهج:" وبعد ، أليس من الصواب القول: إن النحو العربي عبر مراحل تطوره المختلفة احتوى الجوانب النظرية والعملية التي جاءت بها المناهج الحديثة [اللغوية] كافة ، وإنها لم تكن سباقة إلى ما جاءت به من أفكار؟ أحسَبُ أن الجواب سيكون: بلى"[٦].

وربما يكون حسن ختام هذا الأمر ما قاله أحد رموز اللغويين العلامة د. تمام حسان:" وأخيرا يمكننا أن نلخص موضوع الوصفية

---

(١) ضوابط الفكر النحوي ٤٧٠/٢ .

(٢) المعجم الفلسفي ص ١٨٨ مجمع اللغة العربية.

(٣) التفكير اللغوي بين القديم والجديد ص ٣١٨ د. كمال بشر.

(٤) ضوابط الفكر النحوي ٧٧/١ .

(٥) التفكير اللغوي بين القديم والحديث ص ٣١٧ .

(٦) الفكر النحوي عند العرب ص ٣٧٩ د. علي مزهر الياسري .

والمعيارية في الخلاصة التالية: الوصفية وسيلة البحث والمعيارية وسيلة الاستعمال والتعليم"[٧].

وأخيرا يمكن القول: إن المعيارية وسيلة تعليم القواعد وشرحها والاحتكام إليها ودراستها ودراسة أقوال العلماء وآرائهم النحوية.

إنني أذهب مع الذاهبين إلى أن المعيارية لم تحافظ فقط على بقاء وتماسك اللغة العربية وخاصة في قواعدها بل هي الأليق باستمرارية العمل بها شريطة فهمها في ضوء ما فهمه النحويون أمثال سيبويه وابن جني وعبد القاهر وهو ما يضمن للنحو أن يقوم بوظيفته[٨].

طريقة التحليل:

يمكن القول إنني سوف أدرس ما أمكنني جمعه من آراء وترجيحات الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو مستطلعا كيفية اختياره لآرائه ، ومجيبا عن فرضية البحث وهي أن الدكتور فاضل كان يركز دائما على إيجاد فروق بين التعبيرات والأحكام النحوية لأنه يؤمن أن لكل حكم ولكل تعبير معنى مختلف ، وأن إجازة النصب والرفع مثلا كحكم نحوي لا يمكن أن يؤدي إلى معنى واحد، ومستكشفا ما يمكن الوصول إليه في دراسة النحو عن طريق المعنى.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة ومبحثان وفهارس:

أما المقدمة: فبينت فيها دوافع اختيار الموضوع، وتحديد عنوان البحث ، وهدفه، ومنهجه، وطريقة التحليل ، وخطة البحث .

الدراسات السابقة: ذكرت فيها بعض الدراسات عن المعنى النحوي .

وكان المبحث الأول: المعنى النحوي تنظيرا، ويشمل المعنى النحوي عند القدماء والمعنى النحوي عند المحدثين، والمعنى النحوي والحكم الإعرابي.

والمبحث الثاني: آراء الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو في ضوء المعنى النحوي، ويشمل: الآراء النحوية والمعنى، والقاعدة والمعنى، والتقدير والمعنى، والتداول والمعنى.

والخاتمة: وبها أبرز نتائج البحث .

الفهارس: وتشمل المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات .

والله أسأل أن أكون قد وفقت لما أردته من هذا البحث ، فهو نعم المولى ونعم النصير.

الدكتور/ محمد السيد عبده علي علي
مدرس اللغويات بكلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر

---

(٧) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ١٨٤ .

(٨) ينظر ضوابط الفكر النحوي ١/١٠٠ .

الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة عن هذا البحث منها ما يتصل بالدكتور فاضل السامرائي ، وهناك رسالتا ماجستير غير منشورتين[٩]:

الأولى: للباحث طلال وسام أحمد ، كلية التربية بجامعة تكريت، وفيها أخذ الباحث "جهود الدكتور فاضل النحوية" واستعرضها بشكل موجز وهي جهود الدكتور النحوية في مجمل مؤلفاته[١٠].

الثانية: وهي بعنوان: (آراء الدكتور فاضل السامرائي في كتابه (معاني النحو)) ماجستير للباحث مظفر عبد رومي الظاهري، كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد ٢٠٠٥م.

وقد حدد الباحث هدف الرسالة بقوله: "إن هدف الرسالة هو مناقشة هذه الآراء وما رجحه الدكتور فاضل من آراء العلماء وما اختلف فيه معهم وأسباب الترجيح والخلاف والأدلة التي استدل بها السامرائي، ومعرفة آرائه التي استنبطها، وادلته عليها ومصادر استدلاله ".

وقسم رسالته سبعةَ فصول: " الفصل الأول: جعل لآرائه في معاني الحروف، وهو في ستة مباحث: المبحث الأول: في آرائه في معاني حروف الجر. المبجث الثاني: آراؤه في معاني الأحرف المشبهة بالفعل. المبحث الثالث: آراؤه في معاني حروف النصب. المبحث الرابع: آراؤه في معاني حروف العطف. المبحث الخامس: آراؤه في معنى (أل) التعريف. المبحث السادس: آراؤه في (لأن) وكاف الخطاب وإضمار لام الأمر.

الفصل الثاني في آرائه في معاني الأسماء، وهو في خمسة مباحث: المبحث الأول: آراؤه في معاني الضمير. المبحث الثاني: آراؤه في معاني العلم. المبحث الثالث: آراؤه في معاني اسم الإشارة. المبحث الرابع: آراؤه في معاني الممنوع من الصرف. المبحث الخامس: آراؤه في معاني أسماء أخر.

الفصل الثالث: آراؤه في معاني الأفعال. المبحث الأول: آراؤه في معاني (كان). المبحث الثاني: آراؤه في معان (ظن) وأخواتها. المبحث الثالث: آراؤه في معاني الفعل المضارع. المبحث الرابع: آراؤه في تذكير الفعل وتأنيثه وفي التناع. المبحث الخامس: آراؤه في معاني حذف الفعل. المبحث السادس: وهو في معنى (عسى) مع (أن).

الفصل الرابع: آراؤه في معاني المنصوبات، وهو في سبعة مباحث.

---

(٩) يوجد هذا العرض لرسالة (آراء الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو: للباحث: مظفر عبد رومي الظاهري على الرابط التالي: http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=77574

(١٠) هذا الوصف لرسالة طلال وسام مأخوذ مما ذكره الباحث مظفر صاحب الرسالة الثانية .

المبحث الأول: رأيه في معنى حذف المفعول به. المبحث الثاني: آراؤه في الاشتغال. المبحث الثالث: آراؤه في المفعول المطلق. المبحث الرابع: آراؤه في المفعول فيه. المبحث الخامس: آراؤه في المفعول لأجله. المبحث السادس: آراؤه في المفعول معه. المبجث السابع: آراؤه في معاني الحال.

الفصل الخامس: آراؤه في التوابع، وهو في ثلاثة مباحث: المبحث الأول: آراؤه في معاني البدل. المبحث الثاني: آراؤه في معاني العطف. المبحث الثالث: آراؤه في معاني النعت.

الفصل السادس: آراؤه في معاني الأساليب، وهو في ثمانية مباحث: المبحث الأول: آراؤه في معاني الشرط. المبحث الثاني: آراؤه في معاني القسم. المبحث الثالث: آراؤه في معاني النفي. المبحث الرابع: آراؤه في معاني الاستفهام. المبحث الخامس: رأيه في التعجب. المبحث السادس: رأيه في معنى المدح والذم. المبحث السابع: آراؤه في معاني التفضيل. المبحث الثامن: وهو في رأيه في النداء.

الفصل السابع: آراؤه في معاني أركان الجملة العربية، وفيه أربعة مباحث. المبحث الأول: رأيه في تعليل إعراب الاسم. المبحث الثاني: آراؤه في الفاعل ونائبه. المبحث الثالث: آراؤه في الخبر . المبحث الرابع: رأيه في التعلق والارتباط".

<u>وهناك ملاحظات على هذا العرض الموجز للرسالة:</u>

- أنه تناول بعض الآراء في الفصل كاملا في مباحث فهل ناقش كل الآراء في الباب النحوي؟

- الثاني لم يعقد فصلا أو مبحثا لأسس الترجيح واختيار الرأي عند د. فاضل.

أما بحثي فقد تناولت فيه منظورا محددا وهو دور المعنى في ترجيح د. فاضل لآرائه النحوية واختيارها ، وهذه نقطة بحثية محددة جمعت فيها الآراء التي للمعنى دور في اختيارها ، وليس كل الآراء ، وليس كل أسس الترجيح التي منها السماع أو القياس أو اختياره أو ميله لرأي البصرين أو الكوفيين الخ ، وأظن أن هذا أمر فارق مميِّزٌ.

ومنها ما يتصل بالمعنى النحوي ، وتوجد دراسات عديدة في هذا المجال، بعضها مستقلٌ وبعضها جزء من دراسات أخرى أوسع ، ومن ذلك:

- الجملة العربية والمعنى ، د: فاضل السامرائي ط أولى دار ابن حزم ٢٠٠٠م .

- العربية والوظائف النحوية ، دراسة في اتساع النظام والأساليب د: ممدوح عبد الرحمن الرمالي ط دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦م .

- المعنى النحوي في مذاهب علماء العربية (مقاربة لسانية حديثة) ، رسالة

ماجستير للباحثة: نجود جميل أحمد المساعفة ، الجامعة الأردنية ٢٠٠٢م .

- المعنى والقاعدة النحوية ، د: محمود حسن الجاسم ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ج ١٧ ع ٣٢ ذو الحجة ١٤٢٥هـ .

- منزلة المعنى في نظرية النحو العربي ، رسالة دكتوراه للباحثة: لطيفة إبراهيم محمد النجار الجامعة الأردنية ١٩٩٥م.

- النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، د: محمد حماسة عبد اللطيف ط أولى دار الشروق ٢٠٠٠م .

- النحو والمعنى دراسة في مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) رسالة ماجستير للباحثة: أنفال رشاد على عوده الخالدي ، جامعة الكوفة ٢٠٠٧م .

وهناك بعض الدراسات التي تناولت المعنى النحوي في ثناياها ، ومن ذلك:

- ضوابط الفكر النحوي د: محمد عبد الفتاح الخطيب ط ، دار البصائر ٣٩٢/٢ .

- المعنى وظلال المعنى د: محمد محمد يونس علي ص ٣٠١ .

المبحث الأول: المعنى النحوي تنظيرا.

بيَّن الدكتور فاضل السامرائي الغرض الذي من أجله ألف معاني النحو ، وبدأ في مقدمته للكتاب بتساؤلات متنوعة منها: هل اختلاف التعبير والأدوات –فيما نحسب أن المعنى فيه واحد– هو للتنوع في التعبير فحسب؟ يقول:" إننا نعجز عن فهم كثير من التعبيرات النحوية أو تفسيرها ولا نستطيع التمييز بين معانيها ، فمن ذلك على سبيل المثال: ما الفرق في المعنى بين قولك: (لا رجلَ –بالفتح– في الدار) ، و (ما من رجل في الدار) مع أن كلتا العبارتين لنفي الجنس على سبيل الاستغراق؟

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١١) وقوله: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١٢) لم نفى العبارة الأولى بـ (لا) والثانية بـ (ما)؟" (١٣).

ويذكر الدكتور فاضل بعد ذلك أمثلة كثيرة للتدليل على أنه ينبغي أن يكون هناك فوارق بين معاني هذه الجمل ، ثم يقول: " ربما لا أكون مغاليا إذا قلت: نحن لا نفهم اللغة كما ينبغي؛ لأن أكثر دراستنا تتعلق بالعلاقات الظاهرة بين الكلمات أما المعنى فهو بعيد عن تناولنا وفهمنا ، بل ربما لا

(١١) من الآية (١٩) من سورة محمد .
(١٢) من الآية (٦٢) من سورة آل عمران .
(١٣) معاني النحو ٥/١ .

أكون مغاليا إذا قلت: إننا نجهل أكثر مما نعلم فيما نحسب أننا نعلم. ومن هنا نحن محتاجون إلى (فقه) للنحو يصل إلى درجة الضرورة ، صحيح أن قسما من المسائل المتعلقة بالمعنى عرض لها علم النحو ، وعلم البلاغة لكن لا يزال كثير منها دون نظر...إن دراسة النحو على أساس المعنى علاوة على كونها ضرورة فوق كل ضرورة تعطي هذا الموضوع نداوة وطراوة ، وتكسبه جِدَّة وطرافة بخلاف ما هو عليه الأن من جفاف وقسوة"(١٤).

تلك كانت الدوافع التي دفعته للبحث في هذا الجانب وتسليط الضوء عليه وإقامة كتابه على أساسه ، ولذا فقد قال عن كتابه (معاني النحو):" إن هذا الكتاب محاولة في فقه النحو على النهج الذي أسلفته ، إنه محاولة للتمييز بين التراكيب المختلفة وشرح معنى كل تركيب، فهو إذن يدور على المعنى أساسا وبناء ... لقد أمضيت في هذا البحث أكثر من عشرة أعوام، وكان شغلي الشاغل في الليل والنهار أتأمل النصوص، وأديم النظر فيها، وأوازن بينها، وأدقق فيما تحتمله من معان، وكان القرآن الكريم هو المصدر الأول لهذا البحث، أفهرس آياته بحسب الموضوعات، وأنظر في الفروق التعبيرية، وفي السياق الذي ورد في كل تعبير إضافة إلى المظان الأخرى من كتب النحو والبلاغة واللغة والتفسير وعلوم القرآن وغيرها"(١٥).

المعنى النحوي عند القدماء :

لم يغب المعنى النحوي عن فكر النحاة القدماء ، بل كان حاضرا بقوة ، فمنذ سيبويه إلى الآن والنحاة الذين يشرحون قواعد النحو لا تخلو كتبهم من حديث عن معنى الكلام على مستويين ، مستوى تكوين الجملة المفيدة ، ومستوى آخر هو تركيب الكلام المتسق المتناسق غير المتضارب ، وهذا ما بينه سيبويه ومن جاء بعده .

ولعل أفضل ما يبين معاني النحو عند القدماء ما ذكره السيرافي في الرد على متى بن يونس في مناظرة جرت بينهما عن المنطق واللغة ، قال: "معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضِيَة لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوَخِّي الصواب في ذلك ، وتجنُّب الخطأ من ذلك ، وإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائغا بالاستعمال النادر وبالتأويل البعيد أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم"(١٦).

وإذا تأملنا هذا النص نجده نصا كاشفا عن فكر متغلغل في عقول النحاة ووعيهم ويدلل على أمور:

- قوله: ((حركات اللفظ وسكناته))

(١٤) السابق ١/ ٨ بتصرف .

(١٥) معاني النحو ١/٩-١٠ بتصرف .

(١٦) الإمتاع والمؤانسة ١/١٢١ .

يشمل المعنى المعجمي للفظ ، وكذلك المعنى الصرفي ، وهما جزءان من المعنى الكلي للجملة .

- قوله: ((وضع الحروف [الكلمات] في مواضعها المقتضية لها)) هذا يعني مراعاة الوظائف النحوية ، بل واشتمل على مسألة (الاقتضاء)، وهنا تكمن أهمية الوظيفة، وكذا العلامة الإعرابية التي تدل على الوظيفة ، وكذا الموقع والترتيب.

- قوله: ((تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ)) وهذا ليكون الكلام خارجا مخرج الإفادة الصحيحة ومراعاة الرتبة وما يجوز فيها وما لا يجوز خاصة حين تكون الرتبة عاملا حاسما في الدلالة على الوظيفة النحوية، نحو أكرم موسى عيسى.

ثم ذكر أنه يرد بالتأويل ما خالف هذا الطريق أو يرد على صاحبه ، وقدم حجة للرد تدفع عن النحاة تحكمهم في قواعد اللغة وفرضها على المتكلم بل إن الرد ((لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم)).

إنه بالفعل نص رائع ، فالكلمة لها معنى معجمي واشتقاقي ، ثم توضع في الجملة الموضع الذي يليق بها في أداء وظيفتها (فاعل أو مفعول أو حال أو تمييز الخ) ، ثم يراعى الترتيب وما يجوز في الاستعمال تقديمه وتأخيره الخ وإذا انضاف إلى ماسبق مراعاة الحذف والذكر وقواعد الاتساع في اللغة أصبح المعنى النحوي هو مراعاة ما سبق كله وهذا على مستوى توظيف الكلمات، وصدق حينئذ أن المعنى النحوي هو مراعاة الوظائف النحوية ودورها في تكوين الجمل.

على أن هذا ليس كل ما أثر من فهم معاني النحو عند القدماء بل إن الإمام سيبويه قدم رؤية أوسع من مجرد النظر إلى الوظيفة النحوية وترتيب الكلمات، فلابد من الرؤية العامة للجملة ، فيجب أن تكون صحيحة ومعبرة وغير متناقضة ، وعقد لذلك بابا في مستهل كتابه سمَّاه (باب الاستقامة من الكلام والإحالة) ،يقول:" فمنه مستقيم حسن ، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا.

وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس.

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبلَ، وشربت ماء البحر ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيَك وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"(١٧).

وتأمل كلام الإمام سيبويه يعلمنا أن "التركيب الصحيح –في الفكر النحوي– لا

(١٧) الكتاب ١/٢٥-٢٦ .

يمكن أن يحتوي على عناصر لا يرتبط بعضها ببعض دلاليا وذهنيا ، فاستقامة الكلام (لفظا) واستقامته (معنى) شرطان متلازمان في الدرس النحوي"[١٨].

"وسيبويه يؤسس –من خلال هذا الباب– لمنهج الفكر النحوي في الحكم على التراكيب، والتي تعد (قواعد للتخاطب) في العربية من خلال عناصر ثلاثة:

(أ) صحة العلائق المعنوية. (ب) صحة العلائق النحوية. (ج) صحة العلائق المنطقية.

وفي إطار التفاعل بين هذه العناصر الثلاثة يتنزل كلام سيبويه وحكمه على التراكيب من حيث: الاستقامة والإحالة والحسن والقبح والكذب"[١٩].

وهكذا فإن وظائف الكلمات في الجملة (السياق الداخلي للكلام) له دوره الأساسي في المعنى النحوي ، لكن النحاة لم يهملوا جانب السياق أو المقام (السياق الخارجي) ولا حالة المخاطب في عملية وضوح المعنى في نحو الحذف والتقدير ، ألم يقل سيبويه في الكتاب: "باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمتَ أن الرجلَ مستغنٍ عن لفظك بالفعل"[٢٠]. فملاحظة أن المخاطب مستغن عن اللفظ بالفعل هو مسوغ مقامي لإضمار الفعل، وأبواب كالاختصاص والتحذير والإغراء كلها يحذف فيها الفعل لهذا الغرض، "وكل عنصر إسنادي يجوز حذفه إذا اقتضى الموقف الاستعمالي ذلك سواء أكان ذلك في الجملة الاسمية أم في الجملة الفعلية ، وقد يجب حذفه إلا الفاعل"[٢١].

"وهكذا اتضح لنا أن النحاة القدماء قد أدركوا مدلول المعنى النحوي الذي شكل منهجية نظروا من خلالها إلى تصنيف الأبواب النحوية كالفاعل والمفعول به والحال والتمييز والإضافة والاستثناء والشرط وأمثالها. وشغلهم موضوع الصواب والخطأ ، وتجاوزوا ذلك إلى بيان النحو الجمالي كالتقديم والتأخير والموقع وتفطنوا إلى تبيان المفارقة القائمة بين النظام النحوي والاستعمال اللغوي.

وقد أظهر النحاة أن المعنى النحوي هو وظيفة الكلمة في التركيب[٢٢] ، وجاء المعنى النحوي عندهم مرادفا لمصطلح الوظيفة

---

(١٨) ضوابط الفكر النحوي ٤٥٥/٢ . فنص سيبويه يراعي المعنى الوظيفي النحوي والمعنى المنطقي الذهني .

(١٩) السابق ٤٥٦/٢–٤٥٧ .

(٢٠) الكتاب ٢٥٣/١ .

(٢١) بناء الجملة العربية ص ٢٦١ د. محمد حماسة عبد اللطيف .

(٢٢) ذكر الدكتور محمد حماسة أن المعنى النحوي الدلالي هو التفاعل بين الوظائف النحوية والمفردات التي تشغلها. ينظر النحو والدلالة ص ٢٣ وينظر فقه اللغة في الكتب العربية د. عبده الراجحي ص ١٦١ .

النحوية ...ويلتقي هذا الفهم للمعنى النحوي عند النحاة القدماء مع النظر اللساني الحديث ، فقد صدر النحاة القدماء عن المعنى النحوي في وصفهم الظاهرة النحوية وتقعيد قواعدها ، وإن لم يصرحوا به على صورة قارة في التداول ، وهذا يكشف ملحظ التمايز بين النظر النحوي القديم والنظر اللساني الحديث ، إذ استخدم المحدثون هذا المفهوم استخداما يكشف سيرورته في دراساتهم"(٢٣).

المعنى النحوي عند المحدثين:

للتعرف على رأي العلماء المحدثين في مسألة المعنى النحوي سأسوق عدة آراء لهم في هذا المعنى ، ومن ذلك:

د. محمد محمد يونس

يقول عن الدلالة التركيبية: "لا يمكن القول بأن الدلالة التركيبية هي الدلالة الناشئة من مجموع الدلالات الجزئية أي دلالة الكلمات أو المصرفات فحسب ، بل إنها تشتمل على هذه الدلالات وزيادة"(٢٤). ثم بين الزيادة بتحليل مثالين هما:

١- يذهب خالد إلى عمله مترجلا صباح كل يوم .

٢- إلى مترجلا خالد عمله يوم صباح كل يذهب.

وبعد ذلك صحح رأي السيرافي في مناظرته لمتى بن يونس –وقد سبقت– مما يدل على موافقته له في توضيحه لمعاني النحو .

د. محمد حماسة عبد اللطيف:

هناك عدة نصوص تكشف عن رأي الدكتور محمد حماسة في معاني النحو أو الدلالة النحوية ، نحو قوله: "الوظائف النحوية تمد الجملة بالمعنى النحوي الأولي"(٢٥).

وقوله:" سوف أطلق على تفاعل المعنى النحوي الأولي والدلالة الأولية للمفردات في السياق الملائم الذي يعطي المفرد معنى جديدا خاصا في إطار الجملة (المعنى النحوي الدلالي) وقد يرد مختصرا (المعنى النحوي) ...والجملة التي يكون فيها المعنى النحوي الدلالي صحيحا هي التي يتوافق فيها الاختيار بين جانبي الدلالة النحوية ودلالة المفردات الأولية ، ولذلك قد يعبر عن هذا أيضا بالاختيار الصحيح"(٢٦).

وحدد الوظيفة النحوية قائلا:" أما الموقع الإعرابي فهو الوظيفة النحوية المعينة"(٢٧).

ويقول عن العلاقة المعقدة بين الدلالة والنحو:" الخصائص الشاملة للجملة التي قد تكون معقدة تؤدي دورا في القاعدة كذلك، ولكن في هذه الجمل التي تكون العلاقة فيها معقدة بين الدلالة والنحو نستطيع أن نحدد

---

(٢٣) المعنى النحوي في مذاهب علماء العربية ص ٤١-٤٢ بتصرف.

(٢٤) المعنى وظلال المعنى ص ٣٠١ .

(٢٥) النحو والدلالة ص ٥٧ .

(٢٦) السابق ص ٥٩ بتصرف .

(٢٧) بناء الجملة العربية ص ٨٨ .

فيها العناصر النحوية من المسند والمسند إليه وأن نحدد العلاقة النحوية بينهما ، وهذا بدوره قد يؤدي إلى كشف المعنى الدلالي في جانب من جوانبه ، ولهذا يعتمد المعنى المخصص لكل ركن من الجملة على ما يقترن به من السياق والملابسات"[٢٨].

فنحن أمام تحديد أصل المعنى النحوي بالوظيفة النحوية مضافا إليها تفاعلها بدلالة المفردات ومراعاة الملابسات التي تحيط بالجملة .

د. تمام حسان:

يوضح د. تمام "أن جميع ما نسميه المعاني النحوية هو وظائف للمباني التي يتكون منها المبنى الأكبر للسياق"[٢٩]. ، ويبدو أن العلامة الدكتور تمام يقصد بالمعاني النحوية أو الوظائف ما ترجمه النحاة بمعاني الأبواب نحو (باب الفاعل وباب المفعول به الخ) فقد قال:" قلنا من قبل: إن النظام النحوي للغة العربية الفصحى ينبني على الأسس الآتية:

١- طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو الأساليب.

٢- مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية والإضافة الخ.

٣- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها ، وذلك كعلاقة الإسناد والتخصيص ...

٤- ما يقدمه علما الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية ...

٥- القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده"[٣٠].

وقال: "والنظام النحوي هو معنى وظيفي أي: أن ما يسمى المعنى على هذا المستوى هو في الواقع وظيفة المبنى التحليلي"[٣١].

د. عبده الراجحي

يرى أن المعنى النحوي هو الوظيفة النحوية ، يقول:" ومن الحقائق المقررة في الدرس الحديث أن النحو – بما هو درس للتركيب أو الجملة – إنما يدرس (المعاني النحوية) وليس (المعاني المعجمية) أي: يدرس معاني الأشكال ذاتها أو المعاني التي تؤدي إليها (البنية اللغوية) والعلاقات التي تمثلها العناصر التي تتركب معا في كلام ((إن النظام الداخلي للعلاقات هو أساس الوصف النحوي السليم وهو نظام يقرر المعاني على المستوى النحوي في مصطلحات وظيفية مناسبة للغة موضوع البحث))"[٣٢].

ويمكنني القول: إن القول بأن معاني

---

(٢٨) السابق ص ٦٠ وينظر ص ١١٣.

(٢٩) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٧٩ .

(٣٠) السابق ص ١٧٨ بتصرف .

(٣١) السابق ص ١٨٢ .

(٣٢) فقه اللغة في الكتب العربية ص ١٥٩ ، وينظر علم اللغة ص ٢٣٨ د. السعران .

النحو هي الوظائف النحوية يمثل لب الأمر وأساسه المجرد ويمثل الحقيقة في صورتها الأولى فلا تخلو كلمة في الجملة من وظيفة نحوية ، وإن حكم على بعض الكلمات بالزيادة في وظيفتها النحوية فمعناها اللغوي يكون مرادا ، وشرح الملابسات التي تحيط بالوظيفة النحوية من سياق داخلي للجملة وسياق خارجي مقامي وتضافر للقرائن التي توضح وظيفة الكلمة كل ذلك يعد تفصيلا لإجمال الأساس وشرحا للنظرية، وهو ما حاول النحاة واللسانيون قديما وحديثا شرحه وبسطه بطرق متنوعة .

المعنى النحوي والحكم الإعرابي:

أولا: ارتباط المعنى النحوي بالحكم الإعرابي:

إن المعنى مرتبط بالحكم الإعرابي سواء في تأليف الجملة من المتكلم أو فهمها من السامع ، يقول الإمام عبد القاهر: "ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له ، وأحرى بأن يكسبه نبلًا ، ويظهر فيه مزية. وإذا كان هذا كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف ، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا ، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة "[٣٣].

هكذا يتم تأليف الجملة المفيدة، أن يقصد المتكلم إلى المعنى الذي في نفسه فيختار له من مفردات اللغة أوفى الكلمات تعبيرا عنه ثم يوقع هذه الكلمات مواقعها ويرتبها على ما تستحقه في علم النحو فتأخذ كل كلمة وظيفتها وحكمها الإعرابي تعبيرا عن علاقتها مع تاليتها أو سابقتها ، فإن فعل ذلك ووفق فيه كان للحكم الإعرابي دورٌ آخر، ولكن من جهة المخاطب الذي يفسر الكلام ليفهمه ويدرك معاني النحو والمفردات ليفهم المعنى المراد ، فالحكم النحوي إحدى وسائل المتكلم لصياغة المعنى في ألفاظ ، وإحدى وسائل المخاطب في فهم الكلام ، قال ثعلب: "العرب تُخْرِجُ الإعراب على اللفظ دون المعاني ، ولا يُفْسِدُ الإعرابُ المعنى ، فإذا كان الإعراب يفسد المعنى فليس من كلام العرب"[٣٤]. لأنهما مترابطان في إيضاح المقصود ، وقال ابن فارس: "الإعرابُ ...هو الفارقُ بين المعاني المتكافئةِ في اللفظ"[٣٥]. ولذا فإن كل وظيفة لها حكمها الإعرابي الذي يدل عليها ، فـ"العربية تميل إلى التخصُّصِ"[٣٦]. "وحين قال النحاة قديما: إن الإعراب فرع المعنى كانوا في منتهى الصواب في القاعدة...والحق أن الصلة

(٣٣) دلائل الإعجاز ص ٤٤ .
(٣٤) طبقات النحويين واللغويين ص ١٣١ .
(٣٥) الصاحبي ص ٧٥ بتصرف .
(٣٦) التطور النحوي ص ١٢١ .

وثيقة جدا بين الإعراب وبين المعنى الوظيفي ، فيكفي أن تعلم وظيفة الكلمة في السياق لتدعي أنك أعربتها إعرابا صحيحا...فالإعراب إذا فرع المعنى الوظيفي لا المعجمي ولا المعنى الدلالي"[٣٧].

ثانيا: الحكم قرينة من قرائن الكشف عن المعنى:

ولذا فالإعراب قرينة من قرائن المعنى النحوي أو الوظيفة النحوية ، وهو أبرز ما جاء عن النحاة القدماء في الإبانة عن المعاني ، يقول ابن جني عن الإعراب:" هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه ، وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام شَرْجًا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه"[٣٨]. وقال ابن يعيش:" و(الإعراب) عبارة عن اختلاف أواخرها لإبانة معانيها"[٣٩]. وقال ابن الحاجب: " الإعراب ما اختلف آخره به ليدل على المعاني المعتورة عليه"[٤٠].

وعدَّ المحدثون الإعراب وسيلة من وسائل ترابط الجملة ، "ومن بين هذه الوسائل التي تعمل على ترابط أجزاء الجملة وإحكام بنائها وسيلتان لابد من الوقوف عندهما ؛ لأنهما من أبرزها وأدلها على أداء هذا الترابط ، وهاتان الوسيلتان هما: الإعراب ، والرتبة بين الأجزاء في الجملة"[٤١].

ومن هنا سلط المحدثون الضوء على العوامل التي تكشف المعنى النحوي والحكم النحوي ومنها الإعراب إلا أنه ليس الوحيد ، فنشأت نظرية القرائن النحوية ، وهو مصطلح استعمل قديما وله وجود في الفكر النحوي كما ذكر د. هشام البلتاجي ، يقول:"المصطلح بلفظه ومعناه قديم وافر الذكر في كتب النحويين وغيرهم"[٤٢]. ثم ذكر عددا من نقول العلماء مدللا على ذلك ، والدكتور تمام حسان هو الذي "جمَّع وفصَّل وصنف وأضاف ، وكانت نظريته (تضافر القرائن) نتاج عمر أفناه في خدمة اللغة العربية وآدابها ...وقد أشار إلى أن النحاة في ظل انشغالهم بالعامل وما ينتجه من علامات إعرابية تفسر المعنى من وجهة نظرهم لم يستطيعوا تجاهل القرائن الأخرى ، فراحوا يُلِمُّون بالإشارة إليها إلماما خفيفا كلما دعا الأمر إلى ذلك ، ولم يسلكوها في نظام واحد كالذي حاوله"[٤٣].

والقرائن عند الدكتور تمام حسان تنقسم

---

(٣٧) مناهج البحث في اللغة ص ١٩٣-١٩٤ بتصرف د. تمام حسان .

(٣٨) الخصائص ٣٥/١ .

(٣٩) شرح المفصل ٥٥/١ .

(٤٠) الكافية ص ١١ .

(٤١) بناء الجملة العربية ص ٨٨ .

(٤٢) نظرية القرائن النحوية دراسة وصفية نقدية ، د. هشام السعيد البلتاجي ص ٥١٧ .

(٤٣) السابق ص ٥٢٤-٥٢٥ بتصرف .

إلى(٤٤):

أولا: قرائن معنوية، وتشمل:

١-الإسناد : وهو علاقة الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر والفعل بنائب الفاعل والوصف المعتمد بفاعله أو نائب فاعله ، وبعض الخوالف بضمائمها.

٢-التخصيص: وهي قرينة تتفرع عنها قرائن أخص على النحو التالي:

القرينة المعنوية

المعنى الذي تدل عليه

التعدية

المفعول به

الغائية

المفعول لأجله والمضارع بعد اللام وكي والفاء الخ

المعية

المفعول معه والمضارع بعد الواو

الظرفية

المفعول فيه

التحديد والتوكيد

المفعول المطلق

الملابسة

الحال

التفسير

التمييز

الإخراج

الاستثناء

المخالفة

الاختصاص وبعض المعاني الأخرى

٣-النسبة: وهي قرينها تحتها قرائن أخرى نحو حروف الجر ومعنى الإضافة.

٤-التبعية: ويندرج تحتها النعت والعطف والتوكيد والإبدال .

ثانيا: قرائن لفظية، وهي:

١- العلامة الإعرابية.

٢- الرتبة.

٣- مبنى الصيغة.

٤- المطابقة وتكون في العلامة الإعرابية والتكلم والخطاب والغيبة والعدد والنوع والتعريف والتنكير.

٥- الربط وهي علاقة تربط بين طرفين كعود الضمير مثلا أو اسم الإشارة.

٦- التضام والمقصود أن يستلزم أحد العنصرين الآخر ويسمى التلازم نحو أن يستلزم حرف العطف معطوفا أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى التنافي نحو انتفاء أن يكون ما بعد الضمير نعتا له.

٧- الأداة ؛ لأن الأداة تؤدي كل واحدة منها وظائف خاصة في التركيب النحوي ، وهي أدوات تدخل على الجمل وأخرى تدخل على المفردات.

٨- النغمة أو التنغيم ، والمقصود طريقة

---

(٤٤) ينظر في ذلك اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٠ والقرائن النحوية واطراح العامل ص ٤١ المعنى وظلال المعنى ص ٣١٩ ونظرية القرائن النحوية ص ٥٣٩ .

الإلقاء الصوتي لجملة في سياق[٤٥].

هكذا يتم الكشف عن المعنى النحوي بتضافر قرائن وأدلة كثيرة، وقد تتعاون أكثر من قرينة في الموضع الواحد ، إن المعنى النحوي لا يدل عليه العلامة الإعرابية أو الموقع الإعرابي فقط بل أحيانا ما يكون في حاجة إلى أكثر من ذلك، كذلك المعنى العام للجملة ، فقولنا: أنت فعلت ذلك ، قد يكون إخبارا وقد يكون سؤالا ، والسؤال قد يكون استفهاما حقيقيا أو استنكاريا، كل ذلك قد يفهم من طريقة تنغيم الكلام وإلقائه.

وكما رأينا فقد" تصدى الدكتور تمام لتفصيل القرائن بأنواعها (اللفظية والمعنوية والحالية) ودور كل واحدة منها في التحليل اللغوي (الإعراب) مستمدا إياها من خمسة مصادر هي:

١-النظام الصوتي.٢- النظام الصرفي.
٣- النظام النحوي. ٤- دلالة السياق.
٥- الدلالة الحالية"[٤٦].

المبحث الثاني: آراء الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو في ضوء المعنى النحوي.

يمكن القول إن الدكتور فاضل أدار اختياراته وآراءه النحوية على التفرقة بين المعاني بين الجمل والعبارات وقاده ذلك إلى اختيار آراء فردية لبعض العلماء لأنها تفرق بوضوح بين معاني الجمل ولأنه مؤمن بأنه ليس من السهل القول بأن أداء الجملة الواحدة بطريقين مختلفين يفيد المعنى نفسه بل لكل منهما زاوية من المعنى ليست للأخرى ، بما يمكن أن نسميه رؤية في تناول النحو أساسها التفرقة بين المعاني وتجلياتها البحث عن الخلاف في الاستعمال بين الأدوات وسياقات الجمل التي يظن أنها متحدة المعنى .

وربما يثير ذلك سؤالا متبادرا إلى النفس، أليس النحاة على مدار تاريخ النحو العربي وضعوا المعنى موضع العناية لا الإهمال؟ فما من جديد هنا عند الدكتور فاضل؟

وهذا السؤال هو أساسي في الكشف عن أهمية هذا البحث واستحقاقه لتسليط الضوء عليه من جهة ، ومن جهة ثانية الكشف عن الجديد في التناول النحوي عند د.فاضل ، والإجابة عن هذا السؤال هي ، بلى ، ونعم في آن واحد.

بلى عُنِيَ النحاة منذ سيبويه بالترابط بين صنعة النحو والمعنى ، ونعم ، فالجديد عند د. فاضل هو تناول النحو من زاوية المعنى،

---

(٤٥) لخصتُ القرائن من المعنى وظلال المعنى ص ٣١٩ مع بعض الاستعانة بنظرية القرائن ص ٥٣٩ .

(٤٦) نظرية القرائن النحوية ص ٥٣٩ ، وينظر القرائن النحوية واطراح العامل ص ٢٥ .

وللتوضيح أقول: إن النحاة خاصة من اتخذوا النحو صناعة بنوا آراءهم النحوية على السماع والقياس ، وشغلهم الحكم النحوي من واجب وممنوع وحسن وقبيح وخلاف الأولى وجائز(٤٧) ، ولنأخذ مثالا توضيحيا لذلك ، يقول الرضي: " وإذا عطفت على خبر (ما) أو خبر (ليس) المجرور بالباء منفيا نحو: ما زيد بقائم ولا قاعد ، جاز في المعطوف الجر حملا على اللفظ والنصب حملا على المحل"(٤٨).

لكن د. فاضل لا يدرس المسألة من جهة الجواز النحوي بل من جهة هل هناك فرق بين العطف على اللفظ والعطف على المحل؟ يقول:" والذي يبدو لي أن ثمة فرقا في المعنى بين العطف على اللفظ والعطف على المحل ، فإذا قلت: ما محمد بكاتب ولا شاعرٍ كان المعطوف مؤكدا ؛ لأنه على إرادة الباء الزائدة للتوكيد. وإذا قلت: ما محمد بكاتب ولا شاعرا كان المعطوف غير مؤكد ؛ لأنه ليس على إرادة الباء ، فيكون المعطوف عليه آكد في النفي من المعطوف "(٤٩).

فليس مدار الأمر هنا "في مراعاتهم الأصول تارة وإهمالهم إياها أخرى"(٥٠) كما ذكر ابن جني أو في اختيار الأجود صنعة، قال سيبويه: "والوجه فيه الجرُّ ؛ لأنك تريد أن تشرك بين الخبرين ، وليس ينقض إجراؤه عليك المعنى"(٥١). وقال السيرافي: "أن الجرَّ أجود ؛ لأن معناهما واحد ، ولفظ الخبر مطابق للفظ الأول، وإذا تطابق اللفظان مع تساوي المعنيين كان أفصح من تخالف اللفظين ، والعرب تختار مطابقة الألفاظ وتحرص عليها، وتختار حمل الشيء على ما يجاوره "(٥٢).

بل مدار الأمر كما وضحه د. فاضل هو وجود فرق في المعنى بين الجر والنصب، وكلاهما جائز ولكن بمعنى مختلف ، ودراسة النحو بهذا الأسلوب هو ما يصدق فيه ما قاله الدكتور مصطفى ناصف:" فالنحو ليس موضوعا يحفل به المشتغلون بالمثُل اللغوية والذين يرون إقامة الحدود بين الصواب والخطأ أو يرون الصواب رأيا واحدا. النحو مَشْغَلةُ الفنانين والشعراء ، والشعراء أو الفنانون هم الذين يفهمون النحو أو هم الذين يبدعون النحو فالنحو إبداع"(٥٣).

فهل يمكن القول بأن النحاة المعياريين درسوا النحو من زاوية تأويل المخاطب فالأعاريب الجائزة المتفقة مع المعنى هي محاولة لفهم الكلام، والدكتور فاضل درس النحو من زاوية المتكلم المنشئ للكلام فهو يختار الإعراب بناء على المعنى المراد

(٤٧) ينظر الإصباح في شرح الاقتراح ص ٤٧ .
(٤٨) شرح الكافية للرضي ١٩١/٢ وينظر الكتاب ٦٦/١ والخصائص٣٥٣/٢ والتصريح ٤٢٣/١.
(٤٩) معاني النحو ٢٦٣/١ .
(٥٠) الخصائص ٣٥٢/٢ .
(٥١) الكتاب ٦٧/١ .
(٥٢) شرح السيرافي ٣٤٥/١ .
(٥٣) النحو والدلالة ص ٧ .

توصيله؟ وهما زاويتان متصلتان متعاونتان.

فكرة واضحة:

نحن أمام فكرة واضحة لدى الدكتور فاضل وهي دراسة النحو من جهة المعنى ، ومحاولة معرفة دقائق التعبير اللغوي ، ومن بداية الكتاب إلى نهايته وضع الدكتور فاضل هذا الغرض نصب عينيه ، ومن ذلك:

- "وأظن أن هذا اقرب إلى طبيعة اللغة، فالأصل أن يكون التعبيران المختلفان يؤديان معنيين مختلفين"(٥٤).

- "ولكن قد يلتبس أحيانا المفرد بالشبيه بالمضاف، والتفريق بينهما يكون بترك البناء في الشبيه بالمضاف، **والمعنى هو الحاكم**"(٥٥).

- "والذي يبدو لي أن لكل تعبير معنى، وليس من حكمة العربية أن تجعل تعبيرات مختلفة ذات دلالة على معنى متحد"(٥٦).

- "فالحق أن المعنى هو الحاكم في كل ذلك، فمرة يكون التأنيث أجود، ومرة يكون التذكير أجود، بحسب القصد والسياق"(٥٧).

- "صحيح أن قسما من اللغات السامية استعملت (انفعل) للمبني للمجهول، ولكن العربية لها صيغة أخرى هي صيغة (فُعِلَ) والعربية تميل إلى التخصص، فلا تجعل صيغتين بمعنى واحد كما هو واضح في استعمالاتها، وقد خصصت كل صيغة باستعمال ومعنى"(٥٨).

- وقال عن إعمال أحد عاملي التنازع:"ونحن هنا لا يعنينا العمل أو أن هناك تنازعا حقا، وإنما يعنينا هذا الأسلوب ومعناه. إننا لا نعتقد أن تعبيرا ههنا أولى من تعبير، وإنما هو بحسب القصد والمعنى"(٥٩).

- ويقول مبينا عدم اعتداده بالحكم النحوي:"وفي هذا الترجيح نظر؛ لأن معنى الرفع غير معنى النصب، وأنت تعبر بحسب المعنى الذي تريد، فلا تكافؤ ولا ترجيح" (٦٠).

- وقال عن مواضع ترجيح العطف أو المعية: "وفي هذا التقسيم نظر، فإنه ليس عندنا جواز أمرين مع الترجيح أو بدون ترجيح وإنما ذلك بحسب المعنى والقصد"(٦١).

- "وأرى أنه لا يصح القول بأن هذه اللفظة بمعنى تلك بالاستدلال بآية على أخرى حتى يتماثل الموطنان والسياقان، فإن القرآن دقيق غاية الدقة في المخالفة بين التعابير والألفاظ لاختلاف المواطن والسياق"(٦٢).

---

(٥٤) معاني النحو ٢٢٩/١ .
(٥٥) معاني النحو ٣٧٠/١ وقد كرر أن المعنى هو الحاكم في ٨١/٢ و ١١٩/٢ و ٢٢/٤ .
(٥٦) السابق ٣٨١/١ .
(٥٧) السابق ٦١/٢ .
(٥٨) السابق ٨٤/٢ .
(٥٩) معاني النحو ١٤٥/٢ .
(٦٠) السابق ١٧٤/٢ .
(٦١) السابق ٢٤١/٢.
(٦٢) معاني النحو ٨٤/٣ .

فالرؤية التي ابتدأها د. فاضل في مقدمة الكتاب حاول تطبيقها في تناوله لأبواب النحو العربي ، وسوف أتناول آراءه –التي اتضح أنها مرتكزة على المعنى النحوي– في عدة نقاط متتالية.

الآراء النحوية والمعنى:

تتعدد الآراء النحوية وقد يختار د. فاضل أحدها أو يعارضه بناء على رؤيته للمعنى النحوي ، ويمكن مناقشة ذلك في عدة نقاط:

اختيار الرأي بناء على اختلاف المعنى مدعوما بالاستعمال:

قد يختار د. فاضل رأيا ؛ لأن الاستعمال يدعمه ، وهو هنا يؤسس ميله للتفرقة بين المعاني على سماع ، ويوضح الفرق بين الاستعمالات المتنوعة ، ومن ذلك:

(كذلك) بمعنى (أيضًا):

كلمة (كذلك) مكونة من الكاف ، واسم الإشارة (ذا) واللام وكاف الخطاب ، وهي تفيد التشبيه، ومعناها: مثل ذلك(٦٣)، قال تعالى:﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾(٦٤) "أي: يفعلون مثل فعلنا "(٦٥).

ويرى د. فاضل أن (كذلك) تأتي بمعنى (أيضا) يقول:"وقد تكون بمعنى (أيضا) وذلك نحو قولك: أنت ضربت خالدا وسرقت ماله كذلك، فلا أرى ههنا معنى للتشبيه إذ لا يصح أن يراد: وسرقت ماله كذلك الضرب، وإنما هو بمعنى (أيضا). ومن هذا فيما يبدو لي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٥٤﴾(٦٦) فلا أرى في هذا معنى للتشبيه، وإنما المعنى كما يبدو: وزوجناهم بحور عين أيضا، وإن كان المفسرون يرون أن المعنى على التشبيه وإن المعنى يحتمل أن يكون: الأمر كذلك وزوجناهم بحور عين"(٦٧).

ويفرق بين (كذلك) التي للتشبيه والتي بمعنى أيضا فالأولى "التي يراد بها التشبيه تطابق المشار إليه ، فتقول: هي كتلك، وهما كهذين، وهم كأولئك. أما التي بمعنى (أيضا) فهي تجمد على صورة واحدة، وهي أن يبقى اسم الإشارة بصورة الإفراد والتذكير. والظاهر أن معناها القديم يفيد التشبيه ؛ لأن طبيعة تركيب العبارة تدل على ذلك ثم انتقل إلى

(٦٣) وتقع صفة لمصدر محذوف أو حالا مثل (كما) ، ينظر مغني اللبيب ١٦/٣ تحقيق: الخطيب والدر المصون ٤٣٥/١.

(٦٤) الآية (٧٤) من سورة الشعراء.

(٦٥) الدر المصون ٥٣٠/٨ .

(٦٦) الآيات (٥١-٥٤) من سورة الدخان .

(٦٧) معاني النحو ١٠٦/١ .

معنى (أيضا) والتراكيب قد تنتقل معانيها...والذي سهل انتقال معناها أن كثيرا مما يفيد التشبيه تتضمن معنى (أيضا) وذلك كقولك: فعل محمد كذلك الفعل، أي أن أحدا فعل فعلا معينا وأن محمدا فعل أيضا فعلا شبيها بفعله، وقولك: أكرمت محمدا وخالدا كذلك، والمعنى أنك أكرمت محمدا وأكرمت خالدا أيضا مثل إكرام محمد ثم انتقل معنى التركيب في قسم من العبارات إلى معنى أيضا ، وانفك عن معنى التشبيه الذي كان يلازمه"[٦٨].

فبناء على الاستعمال –كما في الآية– واعتمادا على المعنى ، وأن التشبيه قد لا يكون مرادا ، ولا يصح إيراده حكم د. فاضل بأن (كذلك) قد تكون بمعنى (أيضا).

ومع أنني أستدل بهذه المسألة على أن د. فاضل يختار الرأي بناء على الاستعمال والمعنى إلا أنني لا أوفق فضيلته على ما ذهب إليه من مجيء (كذلك) بمعنى (أيضا) ، وذلك لما يلي:

- ما قدمه هو آية واحدة ويمكن تأويلها بما لا يضر بالمعنى ، قال السمين الحلبي:" في هذه الكاف وجهان، أحدهما: النصب نعتا لمصدر أي: نفعل بالمتقين فعلا كذلك أي: مثل ذلك الفعل. والثاني: الرفع على خبر ابتداء مضمر أي: الأمر كذلك"[٦٩]. ولو كان التقدير مناسبا للمعنى لكان أولى، فلو قلنا: نكرم المتقين إكراما كذلك، وزوجناهم بحور عين ، فيكون التزويج إكرامًا بعد إكرام.

- ذكر النحاة أن (كما) الكاف فيها للتشبيه وما مصدرية وتقع "بعد الجمل كثيرا صفة في المعنى، فتكون نعتا لمصدر أو حالا...وتقع كلمة (كذلك) أيضا كذلك"[٧٠]. والتأويل على هذا لا يضر المعنى .

- قال ابن هشام عن (أيضا):" والذي يظهر لي أنه مفعول مطلق حُذِفَ عامله أو حال حُذِفَ عاملها وصاحبها ، وذلك أنك قلتَ: وقال فلان ، ثم استأنفت جملة فقلت: أرجعُ إلى الإخبار رجوعا ، ولا أقتصر على ما قدمت ، فيكون مفعولا مطلقا، أو التقدير: أخبر أيضا أو أحكي ايضا فيكون حالا من ضمير المتكلم فهذا هو الذي يستمر في جميع المواضع"[٧١]. ونلاحظ أن (كذلك) و(أيضا) اتفقتا في الإعراب حالا من وجه ، وافترقتا في أن (كذلك) تعرب صفة ، والأخرى تعرب مفعولا مطلقا.

- على أن الاعتراض مستمر لو قلنا: أنت ضربت خالدا وسرقت ماله أيضا، فهل يسلم د. فاضل أن (أيضا) معناها هنا الرجوع لسرقة كالضرب أي: أرجع إلى الضرب رجوعا أو راجعا إلا أن يدعي أنها لا تستخدم إلا مع فعلين متحدين لفظا ومعنى أو معنى على الأقل.

---

(٦٨) معاني النحو ١٠٧/١ بتصرف .

(٦٩) الدر المصون ٦٣٠/٩ .

(٧٠) مغني اللبيب ١٦/٣ بتصرف .

(٧١) المسائل السفرية ص ٣٠ .

- المعنى الأكثر استمرارا في (أيضا) أن يكون: فعل هذا وهذا ، والمعنى الأكثر استمرارا في (كذلك): فعل هذا كما أنه فعل ذاك ، وبهذا يرتفع الإشكال.

وأميل إلى أنه يمكن عدَّ (كذلك) بمعنى (أيضا) كمعنى متبادر إلى الذهن ، أما صناعة فهي مختلفة معها في جهة الإعراب، وبقاء ما قرره النحاة بشأنها هو الأقرب.

اختيار الآراء المنفردة تأييدا للمعاني الصحيحة:

يختار د. فاضل تأييد رأي عالم أو بعض العلماء؛ لأن ذلك يؤدي إلى التفرقة بين معاني الاستعمالات ، ومن ذلك:

معنى (كاد):

عرض د. فاضل رأي ابن يعيش في قوله تعالى:﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾[٧٢] ، قال ابن يعيش: "قد اضطربت آراء الجماعة في هذه الآية ، فمنهم من نظر إلى المعنى وأعرض عن اللفظ، وذلك أنه حمل الكلام على نفي المقاربة؛ لأن (كاد) معناها (قارب) فصار التقدير: لم يقارب رؤيتها، وهو اختيار الزمخشري، والذي شجعهم على ذلك ما تضمنته الآية من المبالغة بقوله: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍۚ﴾[٧٣]. ومنهم من قال: التقدير: لم يرها، ولم يكد. وهو ضعيف؛ لأن (لم يكد) إن كانت على بابها فقد نقض أول كلامه بآخره، وذلك أن قوله: (لم يرها) يتضمن نفي الرؤية، وقوله: ولم يكد) فيه دليل على حصول الرؤية، وهما متناقضان، ومنهم من قال: إن (يكد) زائدة، والمراد: لم يرها، وعليه أكثر الكوفيين. والذي أراه أن المعنى أنه يراها بعد اجتهاد ويأس من رؤيتها"[٧٤].

وهذا ما أيده د. فاضل، قال:" والذي يبدو لي أن الرأي الذي ذكره ابن يعيش أرجح بدلالة قوله تعالى: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[٧٥]، وهذا الكلام على لسان فرعون في موسى عليه السلام، ولا شك أن موسى كان يبين بدلالة المحاجات المتعددة التي يذكرها القرآن مع فرعون، ولو ذهبنا إلى الرأي الأول لكان عليه السلام أبكم لا يبين ولا يقارب الإبانة"[٧٦]. فالدكتور فاضل اختار رأي ابن بعيش الذي يتناسب مع المعنى ، واستدل بآية أخرى معتمدا على السماع في تأييد رأيه بل وعلى قصة الآية داخل سياقها (قصة موسى) .

---

(٧٢) من الآية (٤٠) من سورة النور .

(٧٣) من الآية (٤٠) من سورة النور .

(٧٤) شرح المفصل لابن يعيش ٣٨٤/٤ .

(٧٥) الآية (٥٢) من سورة الزخرف .

(٧٦) معاني النحو ٢٧٩/١ .

معنى الواو في أسلوب التحذير:

ومن ذلك ما اختاره في معنى الواو في التحذير ، فقد ذكر آراء العلماء فيها ثم اختار رأيا يرى أنه الأحق بالمعنى، فقد رأى النحاة أن الواو في قولنا: إياك والشر عاطفة، واختلفوا في التقدير:

فيرى السيرافي وابن عصفور وكثير من النحويين أن التقدير: اتق نفسك أن تدنو من الشر والشر أن يدنو منك ، فحذف الفعل واستغني عن النفس فانفصل الضمير.

ويرى ابن طاهر وابن خروف أن التقدير: إياك باعد من الشر واحذر الشر، فيكون الكلام جملتين(٧٧).

ويرى ابن مالك أن التقدير: اتق تلاقي نفسك والشر، فحذف الفعل ثم المضاف (تلاقي) وأقيم المضاف إليه (نفسك) مقامه، ثم حذف (نفس) فانفصل الضمير(٧٨).

ونقل د. فاضل إجازة النحويين أن تكون الواو بمعنى مع(٧٩) ، بل جعله الراجح ، قال:" والراجح في مثل هذا أن تكون الواو للمعية، والمعنى إياك وممارسة المراء أو التلبس به أو مصاحبته، ونحو ذلك، ولا داعي لهذه التقديرات المتكلفة...وهو فيما نرى ليس جائزا فقط بل هو الراجح الذي يؤدي المعنى بدون تكلف، ولا كثرة حذف"(٨٠).

وهذا الذي رجحه د. فاضل ، قاله سيبويه:" ومن ذلك أيضا قولك: إياك والأسد، وإياي والشر، كأنه قال: إياك فاتَّقِيَنَّ والأسدَ، وكأنه قال: إياي لأتقيَنَّ والشر، فإياك متَّقًى، والأسد والشر متقيان، فكلاهما مفعول ومفعول معه"(٨١).

(كأَنَّ) للتشبيه – تكرار العامل للتوكيد:

ومن أمثلة ذلك أيضا اختياره بقاء (كأن) بمعنى التشبيه في نحو: (كأنك بالدنيا لم تزل) موافقا الرضي(٨٢) ، واختياره رأي المازني في إفادة تكرير العامل التأكيد في نحو: ما جاءني زيد وما جاءني عمرو ، ويكون النفي لاحتمال مجيء كل منهما وحده ، ولاحتمال انقطاع مجيء عمرو عن مجيء زيد، ولاحتمال اجتماعهما في المجيء(٨٣).

معارضة الآراء المنفردة بناء على المعنى:

ومما يتصل بما سبق معارضته لبعض النحويين وآرائهم مستدلا بالمعنى ، ومن ذلك:

---

(٧٧) كلام السيرافي في شرح الكتاب قريب من هذا، ينظر ١٧٠/٢ .

(٧٨) ينظر التصريح ٢٧٣/٢ والهمع ٢٥/٣ والصبان ٢٨١/٣.

(٧٩) ينظر التسهيل ص ١٩٣ والصبان ٢٨٣/٣ .

(٨٠) معاني النحو ١١٤/٢ .

(٨١) الكتاب ٢٧٣/١-٢٧٤ .

(٨٢) ينظر معاني النحو ٣١٣/١ وردَّ قول الفارسي بأن الكاف حرف خطاب والباء زائدة في اسم (كأنّ).

(٨٣) ينظر السابق ٢٢٨/٤ وذكر الرضي أن تكرير العامل لإفادة نفي المجيئين المنقطعين، ونسبه إلى سيبويه.

النفي بـ(ما):

ما ذكره في (ما) النافية، قال:" وقد ذهب بعض النحاة إلى أن نفيها مختص بالحال، والصحيح أنها كليس تنفي الحال عند الإطلاق، وإذا قيدت فهي بحسب ذلك التقييد، قال تعالى:﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (٨٤) وقال:﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴾(٨٥) وهي في ذلك للاستقبال"(٨٦).

والحق أن العلماء قالوا: إنها تاتي للاستقبال مع وجود القرينة(٨٧).

(كأنَّ) للجَحْد:

ومن ذلك معارضته رأي الكسائي الذي يرى أن (كأن) قد تكون للجحد في نحو: كأنك أميرنا فتأمرنا، معناه لست أميرنا(٨٨) ، قال د. فاضل:"والصواب أنها لا تكون للنفي بل هي على معناها، فقوله: كأنك أميرنا فتأمرنا، معناه أنت متشبه بالأمير فتفعل ذلك ، ومعنى النفي متأت من التشبيه"(٨٩). وهنا أيضا يعارض د. فاضل المعنى الذي اختاره الكسائي للمثال وردَّ بلطف معنى (كأن) في المثال للتشبيه الذي هو معناها الأصلي .

التقدير في (حضروا رجلا رجلا):

ومن ذلك أيضا التقدير في: حضروا رجلا رجلا، فقد رأى البعض أنه ربما يكون على تقدير الفاء أي: رجلا فرجلا أو ثم أي: رجلا ثم رجلا. وخالف د. فاضل، قال: "وأرى في هذا التقدير نظرا أيضا، فالفاء تفيد الترتيب والتعقيب، و(ثم) تفيد الترتيب والتراخي، فقولك: حضروا رجلا فرجلا، معناه حضر الرجل بعد الآخر بلا مهلة، وإن قلت: ثم ، كان المعنى حضر الرجل بعد الآخر وبين كل رجل وآخر مهلة . وهذا المعنى غير مراد، فإن العرب لو أرادت الترتيب والتعقيب لجاءت بالفاء، ولو أرادت التراخي لجاءت بثم ، ولكنها أرادت أنهم دخلوا رجلا بعد الآخر، فقد يكون دخل بعضهم بعد الآخر بلا مهلة ، وقد يكون دخل بعضهم بمهلة ، فإن قدرت أحد الحرفين تعين أحد المعنيين "(٩٠). وبناء على هذه الفروق في تقدير المعنى فقد رفض د. فاضل أن يكون الأمر على تقدير الفاء أو ثم . وهذا دليل آخر على اختيار آرائه وفقا لرؤيته للمعنى .

القاعدة والمعنى:

ترتبط القاعدة النحوية بالمعنى، فهي الطريقة الصحيحة اللغوية التي تعبر عما

---

(٨٤) من الآية (١٦٧) من سورة البقرة .

(٨٥) الآية (١٦) من سورة الانفطار .

(٨٦) معاني النحو ٢٥٢/١ .

(٨٧) ينظر الجنى الداني ص ٣٢٩ والمغني ٤٦/٤.

(٨٨) ينظر لسان العرب ٣٢/١٣ .

(٨٩) معاني النحو ٣١٤/١ وفي الموضع نفسه رد قول الكسائي أيضا أنها تأتي للتمني .

(٩٠) معاني النحو ٢٨٤/٢ .

في نفس المتكلم، ومن خلال القواعد اللغوية يؤول ويفسر المتلقي المعنى، فهي أداة توصيل المعنى وتفسيره، ومن الممكن أن نلاحظ نقاطا في معالجة د. فاضل لهذا الجانب النحوي، وتلك الصلة الوثيقة بين القاعدة والمعنى، ومن ذلك:

اختيار المعنى على حساب الصنعة النحوية:

أحيانا يختار د. فاضل رأيا يؤيد فيه معنى من المعاني ولو كان ذلك معارضا للصنعة النحوية، فهو يتفق غالبا مع الصنعة، لكن ذلك لا يمنعه من أن يعارضها ويختار معنى يميل إليه، ومن ذلك:

إعراب (أن) وما بعدها في (عسى زيد أن يذهب):

قرر النحاة أن (أن) تدخل غالبا على خبر (عسى) وأنه يندر أن يكون خبر (عسى) دون (أن)[٩١] ولكنهم اختلفوا في إعراب نحو: (عسى زيد أن يذهب) ؛ لأن المصدر المؤول من (أن) والفعل اسم معنى وهو لا يخبر به عن الجثة ، ونقل د. فاضل الخلاف في ذلك ، قالوا:

إن المصدر المؤول في موضع خبر؛ لأن الكلام على تقدير مضاف أي: عسى حال زيد أن يذهب ، أو عسى زيد ذا أن يذهب.

أو يكون الإخبار بالمصدر على سبيل المبالغة .

وقيل: المصدر المؤول يصح حمله على الاسم من غير تأويل.

وقيل: المقررون بـ(أن) مفعول به على تضمين الفعل معنى قارب أو على إسقاط الخافض على تضمينه معنى قَرُب.

وقيل: المصدر المؤول بدل اشتمال من الفاعل على تضمن (عسى) معنى قرب .

وقيل: بدل اشتمال وسد مسد المفعولين .

وقيل: يقدر أن الإخبار وقع بالفعل أولا ثم جاءت (أن) لتدل على التراخي في الفعل فهي تدل على الاستقبال وليست مصدرية والفعل بعدها لم ينسبك منه مصدر[٩٢].

وهذا الرأي الأخير اختاره د.فاضل ، قال:" والذي يبدو لي أن الرأي الراجح هو الذي يذهب إلى أن (أن) ليست مصدرية وإنما هي مؤذنة بتراخي الفعل أي: جيء بها للدلالة على الاستقبال"[٩٣]. واستدل بعدة أدلة على اختياره ، وهي:

- سقوط (أن) لضرورة أو لعدم إرادة تخصيص الفعل بالاستقبال.
- مجيء خبرها وصفا كقوله: أني عسيت صائما .
- دخول سين الاستقبال بدلا من (أن) في الخبر؛ لأن كليهما للاستقبال.
- ليست (أن) دائما مصدرية فقد تأتي

---

(٩١) ينظر تمهيد القواعد ١٢٥٨/٣ والتصريح ٢٨٢/١ والصبان ٤٠٧/١ .

(٩٢) ينظر شرح الكافية للرضي ٢١٥/٤ ومغني اللبيب ١٦٦/١ والهمع ١٣٨/١ والصبان ٤٠٧/١.

(٩٣) معاني النحو ٢٧٠/١ .

للاستقبال دون أن تكون مصدرية.

- الحروف المصدرية مهيئة لإقامة الجملة مقام المفرد ، ليتكون فاعلة ومفعولة، لكن أحيانا يصح المعنى ويسد المصدر مسد الجملة المؤولة ، وأحيانا لا يصح ذلك ويكون معنى الجملة مرادا وليس المصدر المؤول منها .

فهذه الأدلة وهذا الاختيار وإن كان يؤدي إلى معنى صحيح إلا أن القول بأن (أن) لا تقع مصدرية مع المضارع مما يخالف الصنعة النحوية(٩٤)، قال سيبويه:"(أنْ) و(تَفْعَلَ) بمنزلة اسم واحد، كما أن الذي وصلته بمنزلة اسم واحد، فإذا قلت: هو الذي فعل، فكأنك قلت: هو الفاعل، وإذا قلت: أخشى أن تفعل، فكأنك قلت: أخشى فِعْلَك"(٩٥).

وهذه الأدلة فيها نظر، فسقوط (أن) قد ذكره سيبويه ، قال:" واعلم أن من العرب من يقول: عسى يفعل، يشبهها بكاد يفعل، فيفعل حينئذ في موضع الاسم المنصوب في قوله: عسى الغوير أبؤسا"(٩٦). ودخول السين على هذا الفعل للاستقبال لا ينفي كون (أن مصدرية) ومجيء خبر (عسى) وصفا يُسْتَدَلُّ به على أنها فعل ناسخ ينصب الخبر لا أكثر.

وليس ضروريا تخريجها هذا التخريج الذي يسلب (أن) مصدريتها ، وهنا عدة أمور:

- القول بأن (أن) وما بعدها مؤولة بمصدر ولا يصح الإخبار به عن زيد ليس خاصا بـ (عسى) بل سيتكرر في كل أفعال باب (كاد وأخواتها) دخلت عليها (أن) وجوبا أو جوازا.
- نص سيبويه السابق قد يفهم منه أنها إن لم تدخل عليها (أن) كانت ناسخة كـ (كان) وهذا يقوي رأي من يرى أنها تكون للقرب بمعنى قارب ، فـ عسى زيد أن يذهب معناه: قارب زيد الذهاب(٩٧).
- القول بعدم مصدرية (أن) فيه تجاهل لمعنى (عسى) الذي هو –بنص سيبويه– "طمع وإشفاق"(٩٨)، فهي وإن أخذت عمل (كان) ورفعت المبتدأ ونصبت الخبر إلا أن لها خصوصية ، فقد التزموا أن يكون خبرها مضارعا ، وإنما ذلك لأنها أفعال تدل على (قرب أو رجاء أو شروع) المبتدأ في القيام بالخبر ، وإذا كانت هناك ملاحظة في الفوراق بين المعاني فيمكن أن يقال: عسى زيد يذهب هو رجاء وطمع في الذهاب ، وعسى زيد أن يذهب هو بمعنى قارب زيد الذهاب.

وعلى كل فقد اختار د. فاضل ما يناسب المعنى بيسر.

---

(٩٤) العلماء الذي تحدثوا عن (أن) الناصبة للمضارع ذكروا أنها مصدرية ينظر الجنى الداني ص ٢١٦ والمغني ١/١٦٠.

(٩٥) الكتاب ٣/٦ .

(٩٦) الكتاب ٣/١٥٨ .

(٩٧) ينظر المقتضب ٣/٦٨ وشرح المفصل لابن يعيش ٤/٣٧٢ واللباب ١/١٩١ للعكبري .

(٩٨) الكتاب ٤/٢٣٣ .

تأويل المعنى أحيانا إذا لم تطمئن نفسه إلى أن هناك فرقا حقيقيا بين المعاني:

قد يختار د. فاضل أن يبقي على المعنى الأصلي، فليس كل اختلاف في التعبير أو استخدام أداة بطريقة ما قد يؤدي إلى اختلاف في المعنى، ومع أن بعض العلماء قد يستأنف معنى جديدا للكلام إلا أن د. فاضل يختار الإبقاء على المعنى الأصلي ، وبالأمثلة يتضح الأمر:

الإبقاء على معنى الابتداء في (مِنْ):

يقول: " ومن هذه يتبين أن هناك ثلاثة آراء في (من) الداخلة على بعض من الظروف غير المتصرفة:

١ – أنها لابتداء الغاية.

٢ – أنها بعنى في.

٣ – زائدة التوكيد.

والذي يبدو لي أن الأول هو الراجح، وليست بمعنى (في)؛ لأن الأصل عدم النيابة، وليست بزائدة لأن الأصل عدم الزيادة، وإذا أمكن عدم إخراجها من معناها الذي وضعت له فهو الأولى، ولا تصرف عن معناها الأساسي إلا إذا تعذر إبقاؤها عليه.

وأرى أنه يمكن الإبقاء على معنى الابتداء في هذه الظروف، ولكن قد يتضح معنى الابتداء نحو قوله تعالى: ﴿ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾[٩٩] وأحيانا يدق المعنى حتى يحتاج إلى غوص واستخراج، وفي نحو هذا يحصل الخلاف "[١٠٠].

فهو هنا يبدو أنه يختار عدم نيابة حرف عن الآخر ، وقد قال: "الأصل ألا تنوب حروف الجر بعضها عن بعض، بل إبقاؤها على أصل معناها ما أمكن، فإن لم يكن ذلك ففي الاتساع وعدم التكلف مندوحة"[١٠١].

معنى (لَعَلَّ):

ومن ذلك رده معاني الكلمة إلى معنى واحد ، فقد ذكر مجيء (لعل) للترجي في المحبوب والإشفاق في المكروه ، وقيل: تأتي للتعليل نحو: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ تَخْشَىٰ﴾[١٠٢] ، وقيل: تأتي للاستفهام، ومنه: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[١٠٣] ، وقيل تأتي للتشبيه نحو: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ

---

(٩٩) من الآية (٦٦) من سورة المائدة .

(١٠٠) معاني النحو ١٩٤/٢ وينظر كلامه عن (من) في ٨١/٣ ..

(١٠١) معاني النحو ١١/٣ .

(١٠٢) الآية (٤٤) من سورة طه.

(١٠٣) من الآية (١) من سورة الطلاق.

لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾[١٠٤].

ثم اختار أن يبقي على المعنى الأصلي لـ(لعل)، قال: "والبصريون يرجعون كل هذه المعاني إلى الترجي والإشفاق ، وهو الصحيح فإنها للتوقع مطلقا ويمكن رجوع كل ما ذكر إلى هذا المعنى من ترج أو إشفاق"[١٠٥].

ويبدو أن تقارب المعاني هو ما جعل بعض العلماء يقر بإمكانية إرجاع المعاني المتقاربة إلى معنى واحد بتدبر لطيف، وجعل آخرين يتحررون من المعنى الأول ويستأنفون معنى جديدا يرونه أدق تعبيرا عن المقصود في سياقٍ خاص، وعلى هذا الأساس تنبني فكرة تقارض حروف الجر لمعانيها .

معنى (ظنَّ):

ومن ذلك قوله:" الأصل في الظن أن يكون شكًا وذلك قوله تعالى:﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾[١٠٦]، وهذا الظن يتردد بين القوة والضعف، فقد يكون ضعيفا قريبا من الوهم، وقد يقوى حتى يقرب من اليقين، بل يكون يقينا كما يقول النحاة، وذلك نحو قوله تعالى:﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ [١٠٧]، وقوله:﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[١٠٨].

والذي يبدو لي أن إبقاءها على معناها ما أمكن أولى، وما ذكر من معاني اليقين يمكن تأويله "[١٠٩].

معنى (هَلْ):

وكذا اختار بقاء (هل) على معنى الاستفهام ورفض مجيئها بمعنى (قد) [١١٠] ، وقال:" قوله تعالى:﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾[١١١] يشرك المخاطبين في الأمر ويطلب منهم الإجابة عن هذا السؤال، ولو أجابوا لقالوا: نعم أتي ذلك على الإنسان، فالفرق بين (قد أتي على الإنسان حين من الدهر) و (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) أن المتكلم في الأولى قرر هذا الأمر ابتداء وأخبر به، وفي الثانية عرضه بصيغة السؤال ليقرره المخاطب بنفسه، فبدل أنْ

(١٠٤) الآية (١٢٩) من سورة الشعراء.
(١٠٥) معاني النحو ٣٠٦/١ .
(١٠٦) من الآية (٣٢) من سورة الجاثية.
(١٠٧) الآية (٢٠) من سورة الحاقة.
(١٠٨) من الآية (٢٤٩) من سورة البقرة.
(١٠٩) معاني النحو ٢٢/٢ .
(١١٠) ينظر السابق ٢٤٦/٤ .
(١١١) الآية (١) من سورة الإنسان.

يقولها المتكلم ابتداء، يكون المخاطب مشاركا في إصدار الحكم.

ونحو هذا أن تقول لمخاطبك: (هل أكرمتك يا فلان؟ هل أعطيتك ما وعدتك؟) وأنت كنت فعلت ذلك له، فيقول: نعم قد أكرمتني وأعطيتني، فبدل أنْ تقولَ ذلك بصورة الخبر تقولها مستفهما لتسمع الجواب منه، فيكون أبلغ في التقرير"[١١٢]. فهو لا يرى دائما إضافة معاني جديدة مالم يكن ذلك غاية الوضوح ومتناسبا مع القواعد.

الاعتراض على إجازة إعرابين أو ترجيح أحدهما لأن المعنى مختلف:

لا يقف د. فاضل عند جواز الإعرابين في الكلمة الواحدة أو ترجيح أحدهما على الآخر في الكلمة من ناحية الصنعة الإعرابية بل يكشف عن المعاني منطلقا من نظرته أن المعنى لا يكون واحدا مع اختلاف الإعراب.

الفرق بين رفع الاسم المتقدم ونصبه في الاشتغال:

ومن ذلك ما ذكره في باب الاشتغال ، فهناك فرق بين رفع الاسم المتقدم ونصبه ، فعندما نقول: خالدًا أكرمتُه ، وخالدٌ أكرمتُهُ ، فالمتحدَّثُ عنه في الجملة الأولى هو المتكلم، وفي الثانية هو خالد "وبتعبير آخر أنت قدمت المنصوب في الاشتغال للحديث عنه بدرجة أقل من المبتدإ ؛ لأن المبتدأ متحدث عنه ، والحديث يدور عليه أساسا بخلاف المشغول عنه، فإن الحديث يدور على غيره أساسا"[١١٣].

وذكر النحاة أن حكم الاسم المشغول عنه قد يجوز فيه النصب والرفع أو يترجح أحدهما ، "ومن مرجحات النصب أن يكون مخلصا من إيهام غير الصواب، والرفع بخلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١١٤] فنصب (كل شيء) يرفع توهُّم كون (خلقناه) صفة لشيء ، إذ لو كان صفة له لم يفسر ناصبا لما قبله"[١١٥].

لكن د. فاضل يرى أن ترجيح النصب ليس حكما نحويا صحيحا بل الصواب أن المعنى قد يقتضي الرفع أو النصب، وأن القول باستواء النصب والرفع أو ترجيح أحدهما إنما هو من جهة صحة الصنعة وليس المعنى، يقول:" وهذا القسم عند النحاة مما يترجح فيه النصب على الرفع، والصواب أن هذا القسم ليس مما يترجح فيه النصب على الرفع، وإنما هو بحسب القصد فإذا أردت التنصيص على أن الفعل ليس صفة نصبت وجوبا، كما مر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١١٦]

---

(١١٢) معاني النحو ٢٤٦/٤ .

(١١٣) معاني النحو ١٣١/٢ .

(١١٤) الآية (٤٩) من سورة القمر .

(١١٥) شرح التسهيل ١٤٢/٢ .

(١١٦) الآية (٤٩) من سورة القمر .

ونحوه من الأمثلة، وإن أردت التنصيص على أنه صفة رفعت وجوبا، وكذلك إذا أردت احتمال الوجهين فهو ليس من باب الجواز، وإنما هو من باب الوجوب بحسب المعنى، كما أوضحت" (١١٧).

وأعيد التأكيد على أن د. فاضل ينظر من زاوية المتكلم المنشئ، فيتحدث عن القصد، واختلاف المعنى، وإذا أردت كذا فالحكم الإعرابي كذا، أما أكثر النحاة فيتحدث عن جواز الحكم أو وجوبه أو ترجيحه، وهذه زاوية المتلقي الذي يحاول تفسير الكلام، على أن النحاة لم تكن أحكامهم بعيدة عن المعنى.

جواز الرفع والجزم في الشرط:

ومثال آخر يوضح أنه لا يجيز الإعرابين بمعنى واحد ، يقول:" إذا وقع جواب الشرط مضارعًا، والشرط ماضيًا، جاز في جواب الشرط وجهان: الرفع والجزم، نحو (إن جئتني أزرك) و (إن جئتني أزورك). قال تعالى:﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾(١١٨)، فما الفرق بين التعبيرين في المعنى؟

الذي يبدو أن رفع الفعل أقوى وأدل على الامضاء من جزمه، وذلك لأن أصل الكلام في الرفع تقديم المتأخر والتقدير في الجملة السابقة (أزورك إن جئتني) فيكون الكلام في الرفع قد بني على إمضاء الحدث، ثم أدرك المتكلم الشرط مؤخرا. وأما في الجزم فقد بني الكلام على الشرط ابتداء، ولذلك جزم الجواب ... فبالجزم يكون الكلام مبنيا على الشرط، وبالرفع يكون الكلام مبنيا على الإمضاء ولو كان مبنيا على الشرط لجزم"(١١٩). وبناء على كلامه في المثال السابق فمن أراد الدلالة على أن غرضه كان إمضاء الأمر إلا أنه تدارك الشرطَ رفع ، ومن كان غرضه الدلالة على الشرط بداهة جزم .

الخلاف في إعراب: (والصابئون):

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره من الخلاف في إعراب (والصابئون) في قوله تعالى: ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(١٢٠) وقد ذكر

(١١٧) معاني النحو ١٣٨/٢ .

(١١٨) من الآية (٣٠) من سورة آل عمران .

(١١٩) معاني النحو ١١٧/٤ بتصرف.

(١٢٠) الآية (٦٩) من سورة المائدة، وقرأ (والصابئين) بالنصب ابن محيصن وابن كثير، معجم القراءات القرآنية ٣٢١/٢. ونقل د. فاضل آية سورة البقرة (٦٢)، وكلام الزمخشري على آية المائدة.

كلام الزمخشري فيه ، قال:" (وَالصَّابِئُونَ) رفع على الابتداء وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز (إن) من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك ... فان قلت: فقوله: (والصابئون) معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو؟ قلت: هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...) الخ ولا محل لها، كما لا محل للتي عطفت عليها، فان قلت: ما التقديم والتأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظن بغيرهم. وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدّهم غيا، وما سموا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها، أى خرجوا"[١٢١].

وقد بين د. فاضل الفرق بين قرءاة الرفع والنصب ، قال:" والذي يبدو لي في هذا الأمر أن ثمة فرقًا في المعنى بين الرفع والنصب، فإن العطف بالنصب على تقدير إرادة (إن) والعطف بالرفع يكون على غير إرادة (إن)، ومعنى هذا أن العطف بالرفع غير مؤكد، فعلى هذا يكون المعطوف في قولك (إن محمدا مسافر وخالدا) مؤكدا، بخلاف ما لو قلت (إن محمدا مسافر وخالد) فإن المعطوف غير مؤكد... وهذا المعنى حام حوله النحاة ولم يذكروه صراحة فهم حين يقولون: إنه معطوف على اسم (إن) قبل دخولها، يعنون إنه معطوف على غير إرادة التوكيد، أي أن المعطوف عليه مؤكد بخلاف المعطوف، وقد رأيت قبل قليل في كلام المفسرين في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ ما يشير إلى أن كلمة (الصابئون) خولف حكمها عن أخواتها، لأن هذه الفرقة أبعد ضلالا من الآخرين، فجاءت أقل توكيدا من أخواتها" [١٢٢].

التقدير والمعنى:

تتمثل عدة أمور في مسألة التقدير والمعنى عند الدكتور فاضل ، فإجازة التقدير بل واختيار التقدير مرتبط عنده بالمعنى المراد أداؤه من الجملة:

ومن ذلك أن **يختلف التقدير بناء على اختلاف المعنى المراد** ، فكلا التقديرين صحيح معنى وصنعة ، ولكن إرادة معنى أحدهما توجب تقديره ، فليست المسألة مجرد جواز التقديرين في الصنعة.

(١٢١) الكشاف ٢/٢٧٢-٢٧٣ بتصرف .

(١٢٢) معاني النحو ١/٢٣٩ بتصرف .

تقدير متعلق الجار والمجرور والظرف:

ومن أمثلة ذلك أنه استقر لدى غالب النحاة أن الخبر في نحو قولنا: "زيد عندك ، وزيد في الدار، فكل منهما متعلق بمحذوف واجب الحذف، وأجاز قوم ... أن يكون ذلك المحذوف اسما أو فعلا نحو: (كائن) أو (استقر)، فإن قدرتَ (كائنا) كان من قبيل الخبر بالمفرد، وإن قدرت (استقر) كان من قبيل الخبر بالجملة"(١٢٣).

لكن الدكتور فاضل يرى أن تقدير الاسم (كائن) يخالف في المعنى تقدير الفعل (استقر) يقول:" وأرى أن الراجح في التقدير، إنه إذا أريد الحدوث قدر فعل بحسب الزمن، وإذا أريد الثبوت قدر اسم فإذا قلت: (القط كالنمر)(١٢٤) قدرت اسمًا (كائن)، ولا تقدر فعلا، ونحوه (الأرض كالكرة)، وتقول (الجنة تحت ظلال السيوف) وأرى أنه لا يصح تقدير فعل هنا فتقدير الفعل (استقرت) يعني أنها كانت على غير ذاك، فاستقرت الآن على هذا ولا يحسن تقدير (تكون أو تستقر) لما فيه من معنى الحدوث والتجدد، وإنما هذا أمر ثابت فتقدر كائنة. ومثله (الحمد لله) فإنه لا يحسن تقدير استقر بل الأولى أن يقدر (كائن).

وإذا قلنا (السفر غدًا) صح فيه تقدير (يكون) وهو الأولى، أو (كائن) إذا نويت ثبوته أي كأن هذا أمر منته ومفروغ منه"(١٢٥). فالتقديران جائزان في صنعة النحاة ، ولكن تقدير أحدهما ليس بمعنى الآخر بل بينهما من الفرق ما بين الإخبار بالمفرد المشتق والجملة الفعلية، وعلينا عند التقدير في الجملة أن نراعي ذلك.

وقوع المصدر خبرا عن الجثة:

ولرؤيته الخاصة في تقدير معنى الكلام قد **يخالف تقدير النحاة مرتضيا تقديرا آخر لاختياره معنى غير الذي اختاروه** ، ومن ذلك أن الخبر لا يكون مصدرا والمبتدأ جثة ؛ لأن المصدر حدث مجرد ، ومع ذلك "ورد في اللغة أخبار من هذا القبيل، قال تعالى في ابن نوح: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾(١٢٦) ...وقالت الخنساء تصف ناقتها:

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتَّى إذا ادَّكَرَتْ

فإنما هي إِقْبَالٌ وإِدْبَارٌ(١٢٧)

...الغرض من هذا الإخبار هو المبالغة بجعل العين الحدث نفسه، أي أن ابنك يا نوح تحول إلى عمل غير صالح، ولم يبق فيه عنصر من عناصر الذات، والناقة تحولت إلى حدث مجرد من الذات فليس فيها ما يثقلها من عنصر الذات، وإنما هي

(١٢٣) شرح ابن عقيل ١/٢١٠-٢١١ بتصرف وفي المسألة خلاف ينظر في الهمع ٢/٢١ .

(١٢٤) في الأصل: القط النمر. وأظنه غير صحيح

(١٢٥) معاني النحو ١/١٨٩ .

(١٢٦) من الآية (٤٦) من سورة هود .

(١٢٧) البيت في ديوان الخنساء ص ٣٨٣ .

تحولت إلى إقبال وإدبار، ومثل هذا الوصف بالمصدر نحو: أقبل رجل عدلٌ"[١٢٨].

قال السيرافي:" والنحويّون يقدّرون مثل هذا على تقديرين:

أحدهما: أن يقدّروا مضافا إلى المصدر وهو الاسم الأوّل، ويحذفون كما يحذفون في ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾[١٢٩]. كأنه قال: صاحب إقبال وصاحب إدبار، وصاحب نهارك صائم، وصاحب ليلك قائم فيحذفون المضاف.

والوجه الثاني: أن يكون المصدر في موضع اسم الفاعل من غير إضافة فيكون إقبال في موضع مقبلة، والنهار صائم مجازا"[١٣٠].

وقد اختار د. فاضل أن يكون المعنى غير ذلك، قال: "والراجح أن هذا الضرب فيما أرى ليس من باب حذف المضاف، ولا من باب تأويل المصدر بالوصف، وإنما هو ضرب آخر من الكلام وافتنان فيه بقصد المبالغة"[١٣١].

فهو يرى ما ذكره قبيل ذلك من أن المعنى قصد به المبالغة حتى أن المصدر قد عبر عن تحول الذات وخلوها من طبيعتها إلى كونها الحدث بذاته، وربما يكون ذلك مفهوما من كلام سيبويه:"فجعلها الإقبال والإدبار على سعة الكلام" [١٣٢]. فالتوسع في الكلام هو الذي جوز الإخبار عن الذات بالحدث ، ويفهم منه أنه إذا لم يقصد المبالغة والتجوز فلا يجوز الإخبار بالحدث عن الذات في مثل ذلك .

جواز وقوع الجملة الإنشائية المراد بها التشبيه نعتا:

وربما قاده تأويل الكلام بمعنى صحيح إلى إجازة قاعدة رفضها النحاة، فالنحاة يوجبون أن تكون جملة النعت خبرية، وتأولوا ما ورد نعتا إذا كانت الجملة إنشائية[١٣٣] ، ومن ذلك قول الشاعر:

حتَّى إذا كَادَ الظلامُ يختلِطُ

جاءُوا بمذقٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطْ[١٣٤]

ونقل د. فاضل رأيا لابن عمرون ، يقول:"أراد بمذق مثل لون الذئب ثم استفهم ، ولما كثر علم أن الصفة محذوفة فإنهم يقولون: هذا مثل كذا هل رأيت كذا...فلما حذف مثل كذا وبقي هل رأيت كذا تأولوه بمقول فيه؛ لذا فتكون الصفة مقولا والاستفهام معمول مقول"[١٣٥]. ثم قال د. فاضل:" ويبدو لي أن هذا الرأي مسوغ؛ لأن

---

(١٢٨) معاني النحو ١٩٣/١ بتصرف .

(١٢٩) من الآية من سورة يوسف .

(١٣٠) شرح الكتاب للسيرافي ٢٢٧/٢ .

(١٣١) معاني النحو ١٩٦/١ .

(١٣٢) الكتاب ٣٣٧/١ .

(١٣٣) ينظر شرح الشافية للرضي ٣٠٠/٢ والارتشاف ١٩١٥/٤ .

(١٣٤) بيتان في ملحق ديوان العجاج ٣٠٤/٢ ، والنحاة يقدرون: بمذق مقولٍ فيه.

(١٣٥) شرح المفصل لابن عمرون ٣٢٧/أ مخطوط

المقصود بهذا القول التشبيه، وهذا التعبير مستعمل كثيرا في لغتنا، فإنك قد تقول لصاحبك: (أكلت فاكهة هل ذقت التمر) أي هي مثل طعمه، والقصد تشبيها به، وتقول (اشتريت عقدا هل رأيت حب الرمان) أي يشبهه، وتقول: (اشتريت قماشا هل لمست الحرير غير أنه ليس بحرير) أي مثله في الملمس، وكل ذلك على معنى أكلت فاكهة مثل التمر. هل ذقت التمر، واشتريت عقدا مثل حب الرمان، هل رأيت حب الرمان ونحو ذلك، فإن النعت في الحقيقة محذوف هو (مثل) واستغني بالجملة عنها لأن القصد معلوم.

والراجح فيما أرى أن يكون الوصف بالجملة الإنشائية التي يراد بها التشبيه قياسا على هذا التأويل والله أعلم"[١٣٦].

فبسبب التأويل المؤدي إلى تصحيح المعنى أجاز د. فاضل قاعدة تأولها النحاة وقدروها بطريق آخر، وإنما ذلك لأنه يراعي المعنى في المقام الأول.

التداول والمعنى:

لا يخفى أن اللفظ يظهر معناه بالاستعمال ، وقد يتغير معنى اللفظ أو الأداة بتغير استعمالها ، وقد يكون هناك فرق بين الأداتين يؤديان المعنى الواحد في الاستعمال، كما يلعب السياق دورا مهما في ذلك، وهنا يفرق د. فاضل بين الألفاظ بناء على استعمالها ووقوعها في مواطن متعددة، ويمكن أن نعد من ذلك:

استخدام السياق ليفرق بين المعاني:

لا ينفصل معنى الكلام عن سياقه، وكذلك لا ينفصل الحكم النحوي أو المعنى النحوي عن سياق الكلام، وقد يختار د. فاضل بعض الآراء مستندا على سياق الكلام.

(مِنْ) للتبعيض:

ومن ذلك ترجيحه لمعنى (من)، فبيَّن أن من معانيها: "مرادفة الباء، نحو قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [١٣٧] قاله يونس، والظاهر أنها للابتداء.

ويترجح عندي أنها للتبعيض أي ينظرون ببعض طرفهم، وهو المناسب لمشهد الذل الذي هم فيه. ومثله في حياتنا اليومية، أن يغضب أب على ابنه في فعلة فينهره ويغلظ عليه والابن لا يستطيع مواجهة أبيه بكل طرفه، بل ينظر إليه ببعض طرفه"[١٣٨].

فقد اعتمد د. فاضل على ملابسات المشهد وسياقه لتحديد معنى (من) مخالفا ما قاله يونس عليه السلام.

معنى (مِنْ) الداخلة على بعض الظروف:

ومن اعتماده على السياق ما ذكره في (من) الداخلة على بعض الظروف غير

(١٣٦) معاني النحو ١٩٢/٣ .

(١٣٧) من الآية (٤٥) من سورة الشورى .

(١٣٨) معاني النحو ٨١/٣.

المتصرفة من أنها إما لابتداء الغاية أو بمعنى (في) أو زائدة للتوكيد ، وقد رجح أن تكون على معناها من ابتداء الغاية ، وقد ذكر أنه لتبيان معنى الابتداء قد نحتاج إلى غوص واستخراج، قال: " وأحيانا يدق المعنى حتى يحتاج إلى غوص واستخراج، وفي نحو هذا يحصل الخلاف، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾(١٣٩) وقوله:﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾(١٤٠) فالأولى بدون (من) والثانية بمن، وقد يبدو أن (من) ههنا زائدة زيادة ظاهرة، ولكن لدي التدقيق يتبين أنها ليست زائدة، ومن مقارنة السياقين يتبين ذلك.

قال تعالى في سورة النحل:﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾(١٤١) وقال في سورة الحج:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجٖ

(١٣٩) من الآية (٧٠) من سورة النحل .

(١٤٠) من الآية (٥) من سورة الحج .

(١٤١) الآية (٦٨-٧٠) من سورة النحل .

بَهِيجٍ﴾[١٤٢] فأنت ترى أن الآية الثانية رد على من هو في ريب من البعث، وإيضاح بالغ قدرة الله له وكيف أنه خلقه من التراب بشرا فطوره إلى أن يرد إلى أرذل العمل فيجهل من بعد العلم، إلى غير ذلك من مظاهر قدرة الله، فذكر (من) هنا بخلاف آية النحل لسر لطيف وهو أن قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ معناه أنه الجهل يبدأ من بعد العلم بلا مهلة، فهناك حالة علم تبدأ منها حالة الجهل التام، أما قوله: ﴿بَعْدِ عِلْمٍ ﴾ فيحتمل الزمن القريب والبعيد، فهو كقولك: جئت بعد خالد، يحتمل الزمن القريب والبعيد، وأما (من) فقد أفادت الابتداء، أي يبدأ الجهل المباشر بعد العلم، بلا مهلة ولا فاصل، وهو أدل على قدرة الله وذلك لأنه انتقال مباشر من العلم إلى الجهل، أما قوله: ﴿بَعْدِ عِلْمٍ ﴾ فيحتمل أن مرت عليه مدة طويلة من غياب بعض المعلومات ونسيانها إلى الجهل، فمعنى ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ أنه قادر على أن يغير بأقرب وقت من حال إلى حال، وهو المناسب لمقام تبيان القدرة لمنكري البعث"[١٤٣].

فهذا التحليل لمقام الكلام هو ما أيد به د. فاضل وجهة نظره ، وهو تأييد للمعنى المناسب للسياق الكلي للكلام .

الخلاف في المعنى بين وجود الأداة وعدمه أو اختلاف الأداة:

ومن مظاهر العناية بالمعنى ما ذكره د. فاضل من اختلاف المعنى بين وجود الأداة أو الحرف وعدم وجوده في الجملة وما يترتب على ذلك من اختلاف في المعنى .

الفرق بين سقوط الفاء وبقائها في جواب الاستفهام:

ومن أمثلة ذلك: " وهنا يبرز سؤال وهو؟ ما الفرق بين سقوط الفاء وبقائها في المعنى؟ ما الفرق مثلا بين قولك: (هل تزورني أكرمْك) و (هل تزورني فأكرمك)؟ المعنى واحد أم مختلف؟

الذي يبدو أنهما أسلوبان متغايران معناهما مختلف، وذلك أن التعليل بالفاء إنما هو لبيان السبب فقط، وليس الارتباط بها ارتباطا شرطيا، ولذا يصح أن تأتي بالفاء أحيانا ولكن لا يجوز إسقاطها وجزم الفعل بعدها؛ لأن معنى الشرط لا يصح، وذلك نحو قولنا: (لا تدن من الأسد فيأكلَك) فإن هذا التعبير صحيح، وهو بيان لعلة عدم الاقتراب من الأسد، بخلاف ما لو قلنا (لا تدن من الأسد يأكلك) فإنه لا يصح فيه الجزم، لأنه لا يصح تقدير الشرط فيه، إذ لا

(١٤٢) الآية (٥) من سورة الحج .
(١٤٣) معاني النحو ١٩٤/٢-١٩٥ .

يقال: (إن لا تدن من الأسد يأكلك). قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(١٤٤)، فأنت ترى أنه لا يصح إسقاط الفاء والجزم على الطلب؛ لأنه لا يصح في المعنى (إن لا تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين)، فالفاء لبيان علة النهي عن الاقتراب من الشجرة، ولكن ليس ارتباط ما قبلها بما بعدها ارتباطا شرطيا"(١٤٥).

فالحرف (الفاء) وجوده أو عدمه لا يؤثر في الحكم الإعرابي فقط –كما قد يُعْنَى بعض النحاة– بل له أثر على المعنى يستتبعه وهو أولى أن ينظر إليه .

الفرق بين التصريح باللام وإضمارها:

ومن ذلك أيضا ما ذكره قائلا: "وقد تقول: ما الفرق بين التصريح باللام وإضمارها، فما الفرق بين قولنا: (قل له يفعْل) و (قل له ليفعْل)؟

الذي يبدو أن ثمة فرقًا بين التعبيرين، وذلك أن القائل استغنى بفعل الأمر عن أمر جديد باللام، وهذا ألطف إذ لا يحسن أحيانًا مواجهة المعنى بالأمر الصريح، فتستغني عنه بالأمر السابق الموجه إلى المخاطب، لا إلى الشخص المطلوب منه الفعل، فقوله: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾(١٤٦) يختلف عن قولنا: (ادع لنا ربك ليخرج لنا) فإن المخاطب في التعبير الأول موسى عليه السلام فاستغني بخطابه عن ذكر لام الأمر مع الله تعالى في حين أنه في العبارة الثانية تكون لام الأمر صراحة لله تعالى" (١٤٧). وهذه ملاحظة جيدة ، ففي: قل له يفعل ، ليس هناك أمر متوجه في (يفعل) ، أما في: قل له ليفعل ، فلام الأمر بما تحتويه من طلب تختلف عن الفعل المضارع الخالي منها ، وهنا فالأداة أو الحرف لوجوده أثر في تغيير معنى العبارة.

الفرق بين وجود الفاء الجوازي وعدمه في جواب الشرط:

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره من أن الفاء قد تدخل في جواب الشرط جوازا على الماضي المراد به وعد أو وعيد ، والمضارع المجرد أو المنفي بـ (لا) وقيل: بـ (لم) أيضا(١٤٨) ، ومع أن دخول الفاء هنا جائز ، وهو حكم ظاهره يقتضي أن الحرف وجوده وعدمه لا يؤثر في الجملة ، لكن د. فاضل رأى أن هناك فرقا بين وجود الفاء وعدمه ، قال:"والذي يبدو لي أن هذه الفاء لها غرض في الكلام، وليس دخلوها كخروجها. أما دخولها على الفعل الماضي فقد ذكر النحاة

(١٤٤) من الآية (١٩) من سورة الأعراف .
(١٤٥) معاني النحو ١٦/٤ .
(١٤٦) من الآية (٦١) من سورة البقرة .
(١٤٧) معاني النحو ٢٣/٤ .
(١٤٨) ينظر شرح الكافية الشافية ١٥٩٥/٣ .

الغرض منه، وهو الإشعار بأن الحدث وقع فعلا، أو هو بمنزلة الواقع تحقيقا وتأكيدًا له.

وأما في المضارع فالذي يبدو أنها تفيد التوكيد، فقوله تعالى:﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾[١٤٩] آكد من قولنا (فإن طلقها لا تحل) بلا (فاء). وقوله: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا﴾[١٥٠] آكد من قولنا (لا يخف ظلما ولا هضما)" [١٥١].

الفرق بين التعليل بـ(إنَّ) و(أنَّ):

ولم يقف تفريق د. فاضل بين معنى وجود الحرف أو الأداة وعدمه بل يفرق بين الأداتين اللتين تأتيان بمعنى واحد ، فقد أثبت بعض العلماء مجيء (إنَّ وأنَّ) للتعليل[١٥٢] ، وفرق د. فاضل بين التعليل بهما، قال:" التعليل بـ (إن) لا يماثل التعليل بـ (أن) فإن التعليل بأن المفتوحة إنما هو على إرادة اللام، قال سيبويه في (جئتك أنك تريد المعروف): أي لأنك تريد المعروف[١٥٣]، فالتعليل ههنا مقيد بعامله مقصور عليه، أي إنما حصل هذا لهذا، بخلاف التعليل بإن المكسورة فإنه تعليل واسع وحكم عام مستأنف، غير مقيد بالعامل.

فهي في الحقيقة ليست للتعليل المحض كـ (أن) وإنما هي حكم عام، وكلام مستأنف فيه تعليل، يشمل ما ذكر وما لم يذكر" [١٥٤].

فالجملة مع (إن) المكسورة جملة مؤكدة فيها خبر فيه تعليل لما سبقها وأكثر ، أما مع المفتوحة فهي جملة على تقدير اللام التي للتعليل فهي تعليل مباشر وخاص بما سبقها ولا عموم فيه .

الخلاف في المعنى بين استعمالات الكلمات وتوظيفها:

ومن عنايته بالمعنى تفرقته بين استعمالات الكلمات وتوظيفها .

ومن ذلك قوله في الفرق بين (عَلِمَ) و (عَرَفَ) :

"والصحيح أن بينهما فرقا كما قال أكثر النحاة، فإن العلم يتعلق بالصفات، والمعرفة تتعلق بالذوات، فهناك فرق بين قولك: (علمت خالدا طالبا)، و (عرفت خالدا طالبا) فإن معنى الأولى علمت اتصاف خالد بصفة الطالبية، أما عبارة (عرفت خالدا طالبا) فمعناها عرفت خالدا وهو طالب أي عرفت حين كان طالبا والفرق بينهما ظاهر.

وقد تقول: وهل تأتي (علم) بمعنى

---

(١٤٩) من الآية (٢٣٠) من سورة البقرة .

(١٥٠) الآية (١١٢) من سورة طه .

(١٥١) معاني النحو ١٠٩/٤ .

(١٥٢) ينظر حاشية يس على التصريح ٢١٩/١ والجنى الداني ص ٤١٧ .

(١٥٣) ينظر الكتاب ١٢٦/٣ .

(١٥٤) معاني النحو ٢٩٢/١ .

(عرف)؟ وهل قوله تعالى (لا تعلمهم) معناه: لا تعرفهم؟

الذي يبدو أن المعنى مختلف، فقولك (لا تعرفهم) معناه لا تعرف ذواتهم وأعيانهم، أما قوله: (لا تعلمهم) فمعناه: لا تعلم اتصافهم بهذه الخصلة، وهو قد يعرف ذواتهم وأشخاصهم"(١٥٥).

وقد فرَّقَ الكَفَوي بين العلم والمعرفة، قال:" العلم يقال لإدراك الكلي أو المركب. والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط، ولهذا يقال: عرفت الله دون علمته. فمتعلق العلم في اصطلاح المنطق وهو المركب متعدد، كذلك عند أهل اللغة وهو المفعولان، ومتعلق المعرفة وهو البسيط واحد كذلك عند أهل اللغة وهو المفعول الواحد وإن اختلف وجه التعدد...وأيضا يستعمل العلم في المحل الذي يحصل العلم بلا واسطة، والعرفان يستعمل في المحل الذي يحصل العلم بواسطة الكسب، ولهذا يقال: الله عالم ، ولا يقال: عارف"(١٥٦).

ومن ذلك أيضا ، تفرقته بين (عَلِمْتُه) و (عَلِمْتُ به):

قال: "قيل: ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾(١٥٧)، قالوا: الباء فيه زائدة لقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُون أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾(١٥٨).

والصواب أن هناك فرقا بين قولك: علمته، وعلمت به، فقولك (علمته) معنى علمت الأمر نفسه، أما (علمت به) فالمعنى علمت بحاله، فقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ لا يطابق (ألم يعلم أن الله يرى) فمعنى الثانية ألم يعلم رؤية الله، ومعنى الأولى ألم يعلم بهذا الأمر؟ ألم يخبر به؟ ألم يسمع بهذا الأمر سماع علم؟ ونحو ذلك"(١٥٩).

فتعدي الفعل إلى المفعول بنفسه هو إيصال لمعنى الفعل لذات المفعول ، أما وصول الفعل للمفعول بالباء كأنه لم يتغلغل لمعرفة ذاته بل لمعرفة صفاته الملاصقة له .

الفرق بين تعدي الفعل بـ (على) أو (مِنْ):

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره من وقوع (على) بمعنى (من) لكنه رأى أن هناك فرقا بين استعمال الفعل معدى بعلى أو بمن ،

---

(١٥٥) السابق ٩/٢ .
(١٥٦) الكليات ص ٦١١ للكفوي بتصرف.
(١٥٧) الآية (١٤) من سورة العلق .
(١٥٨) من الآية (٢٥) من سورة النور.
(١٥٩) معاني النحو ٣٢/٣ . وذكر الزبيدي أن علمه بمعنى عرفه، وعلم به بمعنى شَعَرَ. تاج العروس ١٢٦/٣٣. فتعدي علم بنفسه يصل لذات المعلوم وحقيقته ، وبالباء بمعنى الشعور بالشيء. وهو قريب من كلام د. فاضل.

قال: "وجعلوا منه قوله تعالى:﴿إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[١٦٠]، وقيل: بل هو متضمن معنى التسلط على الناس والتحكم، أي تسلطوا عليهم بالاكتيال.

والظاهر أنه هو الصواب؛ لأن هناك فرقا بين قولك: اكتال منه، واكتال عليه، فاكتال منه لا يفيد أنه ظلمه حقه، وهضمه ماله، بخلاف اكتال عليه، فإن فيه معنى التسلط والاستعلاء وهذا في المطففين قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[١٦١] ، فهم إذا أخذوا منهم، أخذوا أكثر من حقهم، وإذا أعطوهم أعطوهم أقل من حقهم، ففيه إذن معنى التحكم، والجور، والظلم، وهو أبلغ من (من) هنا، وليست بمعنى (من) ولا تفيد (من) هذا المعنى" [١٦٢].

فالفرق بين (اكتال منه) و(اكتال عليه) جعل د. فاضل يقول بأن (على) ليست بمعنى (من) في الآية ، وقد عضد رأيه بملاحظة سياق الآية الكريمة .

(١٦٠) من الآية (٢) من سورة المطففين .
(١٦١) الآية (١-٣) من سورة المطففين .
(١٦٢) معاني النحو ٣/٥١-٥٢ .

الخاتمة

بعد هذه الجولة في فكر د. فاضل السامرائي، وفي كيفية بنائه كتابه (معاني النحو) حول المعنى النحوي ، وترجيحه للآراء بناء على تأديتها للمعاني ، وكذا تفريقه بين الاستعمالات المتنوعة أستطيع القول بأن د. فاضل استجمع عناصر ما يمكن تسميته **(نظرية المعنى النحوي عند الدكتور فاضل السامرائي)** ، ويمكننا أن نجمل مجموعة من المبادئ العامة التي قد تشكل نظرية المعنى النحوي عند الدكتور فاضل وهي:

- دراسة المعنى النحوي دراسة – مع اعتمادها على الصنعة في بنية الجملة– مغلِّفةٌ للصنعة، فالمعنى هو البداية، هو الفكرة في نفس المتكلم ثم هو النهاية، هو المفهوم والرسالة التي مرت من خلال جملة نحوية مؤسسة على قواعد النحو ، ولذا فالمعنى هو الأهم؛ لأنه الهدف.
- التعبير بأدوات وطرق مختلفة سواء كانت في ترتيب الجمل أو في اختلاف علامة الإعراب غالبا ما يتبعه معنى مختلفا يجب الانتباه إليه .
- تقدير الإعراب ، والمحذوف مرتبط بالمعنى وأدائه .
- لا يؤدي إجازة إعرابين في كلمة واحدة إلى معنى واحد بل يتغير المعنى بتغير الإعراب.
- التقدير المتلائم مع المعنى الصحيح

يمكن أن يكون مدخلا لإجازة قاعدة إعرابية وإن خالفت الجمهور.

- عدم الاعتداد بالحكم النحوي (جائز وراجح الخ ما عدا الممتنع)؛ لأن لكل حكم معنى يؤديه، والكلام والإعراب على حسب المعنى المراد، فغرض النحوي ليس الحكم فحسب إنما هو الحكم المعبر عن المعنى المراد؛ لأن مرد الأمر أن يكون ((بحسب القصد)) على حدِّ قوله، فمراد القائل والمعنى المقصود هو ما يحدد الحكم، وهنا لا يمكن أن نصدر حكمين لنفس المعنى. وفاته هنا أن الحكم (جائز وراجح الخ) ليس من القائل وإنما هو من تفسير النحاة للكلام، وأنهم ما رجحوا أو أجازوا إلا بتوافق الصنعة مع المعنى، ولم يغب عنهم ذلك، بدليل أنهم يخطئون الترجيحات والأحكام المفسدة للمعنى، وذا مما لا يحتاج إلى دليل عليه.

- لا داعي لإعراب كل تعبير بل يكتفى بوصف بعض التعبيرات فقط كأسلوب التعجب. (وهذا اهتزاز في الرأي بين ضرورة أن يكون هناك خلاف في المعنى بين التعبيرات وكذا الأعاريب المختلفة ، ووصف التعبير دون إعرابه، وربما ينفي هذا عنه الوظيفة النحوية للدلالة المعنوية المحضة، وربما التخلص من بعض الصعوبات أو رغبة التيسير اعتمادا على وضوح المعنى هما ما قاداه إلى هذا الرأي).

- قد يختار المعنى ولو عارض- أحيانا- الصناعة النحوية .

- يختار الطرق الإعرابية الأيسر و(غير المتكلفة) في رأيه طالما أدت المعنى.

- يُعَدُّ كثيرٌ من اختيارات د. فاضل ورؤيته للتفرقة بين المعاني النحوية وجهةَ نظرٍ في استكناه الاستعمال اللغوي وتحديده ، وتبيانا لمقصد المتكلم الواعي ، وتأويلَ المتلقي المتقن ؛ ولذا فإنه يميل للتخصيص والتفرقة بين المعاني ، وليست النظرة السطحية التي تفهم من مختلف الجمل مجرد إسناد خبر لمخبر عنه.

- يمكن القول: إن د. فاضل درس النحو من زاوية المتكلم الذي يختار من بين الأحكام الجائزة ما يوافق المعنى، وأن بعض النحاة درسوا النحو من زاوية المخاطب الذي يؤول العبارة بكل وجه ممكن ليتفهم مقصد المنشئ .

فهرس المصادر والمراجع

رسائل علمية:

المعنى النحوي في مذاهب علماء العربية مقاربة لسانية حديثة، للباحثة: نجود جميل أحمد ، ماجستير، الجامعة الأردنية ٢٠٠٢م.

مطبوعات:

١- ارتشاف الضرب لأبي حيان، تحقيق د/ رجب عثمان محمد، ط أولى مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٢- الإصباح في شرح الاقتراح، الدكتور/ محمود فجال، ط أولى دار القلم دمشق ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٣- بناء الجملة العربية، الدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف، ط دار غريب بالقاهرة ٢٠٠٣م .

٤- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، تحقيق د/ محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

٥- التصريح بمضمون التوضيح لخالد الأزهري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط أولى دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٦- التطور النحوي برجشتراسر، تحقيق د: رمضان عبد التواب، ط ثانية مكتبة الخانجي ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٧- التفكير اللغوي بين القديم والجديد، الدكتور/ كمال بشر، ط دار غريب بالقاهرة ٢٠٠٥م .

٨- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش، تحقيق د/ علي محمد فاخر وآخرون، ط أولى دار السلام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٩- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط أولى دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٠- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، ط المكتبة التوفيقية بدون .

١١- حاشية يس على التصريح، ط ثانية المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٥هـ .

١٢- الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط المكتبة العلمية بدون.

١٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، ط دار القلم دمشق بدون.

١٤- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط خامسة

مكتبة الخانجي ٢٠٠٤م.
١٥- ديوان الخنساء بشرح ثعلب، تحقيق د/ أنور أبو سويلم، ط أولى دار عمار، الأردن ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
١٦- ديوان العجاج برواية الأصمعي، تحقيق د/ عبد الحفيظ السطلي، ط مكتبة أطلس، دمشق بدون .
١٧- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق د/ عبد الرحمن السيد و د/ محمد بدوي المختون، ط أولى مكتبة هجر، القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
١٨- شرح الرضي على الكافية، تحقيق د/ يوسف حسن عمر، ط ثانية منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٦م .
١٩- شرح شافية ابن الحاجب للرضي، تحقيق/ محمد نور الحسن وآخرين، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٢٠- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط العشرون، دار التراث، القاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٢١- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق د/ عبد المنعم أحمد هريدي، ط أولى دار مأمون للتراث ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٢٢- شرح كتاب سيبويه للسيرافي، تحقيق/ احمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، ط أولى دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٢٣- شرح المفصل لابن يعيش، تحقيق د/ إميل بديع يعقوب، ط أولى دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢٤- الصاحبي لابن فارس، تحقيق د/ عمر فاروق الطبَّاع، ط أولى مكتبة المعارف، بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٢٥- ضوابط الفكر النحوي، الدكتور/ محمد عبد الفتاح الخطيب، ط دار البصائر بدون.
٢٦- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ثانية دار المعارف بدون.
٢٧- علم اللغة، الدكتور/ محمود السعران، ط دار النهضة العربية، بيروت بدون.
٢٨- فقه اللغة في الكتب العربية، الدكتور/ عبده الراجحي، ط دار النهضة العربية، بيروت بدون
٢٩- الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه، الدكتور/ علي مزهر الياسري، ط أولى الدار العربية للموسوعات ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
٣٠- الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط لابن الحاجب، تحقيق د/ صالح عبد العظيم الشاعر، ط مكتبة الآداب بدون .
٣١- الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ثالثة مكتبة الخانجي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٢- كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، صححه وضبطه: أحمد أمين ، وأحمد الزين، ط دار مكتبة الحياة بدون.
٣٣- الكشاف للزمخشري، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود ، و علي محمد معوض، ط أولى مكتبة العبيكان، السعودية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٣٤- الكليات للكفوي ط الثانية مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٥- اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري، تحقيق: غازي مختار طليمات، د. عبد الإله نبهان ط أولى دار الفكر المعاصر ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٣٦- اللغة بين المعيارية والوصفية، الدكتور: تماما حسان، ط الرابعة عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٠م .
٣٧- اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور/ تمام حسان، ط دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤م.
٣٨- المسائل السفرية في النحو لابن هشام، تحقيق د: حاتم صالح الضامن، ط أولى مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٣٩- معاني النحو، الدكتور فاضل السامرائي، ط أولى دار الفكر، الأردن، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
٤٠- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٤١- معجم القراءات، الدكتور/ عبد اللطيف الخطيب، ط أولى دار سعد الدين، دمشق ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٤٢- المعنى وظلال المعنى ، الدكتور/ محمد محمد يونس علي، ط ثانية دار المدرا اللإسلامي ٢٠٠٧م.
٤٣- مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، ط المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت بدون.
٤٤- المقتضب للمبرد، تحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
٤٥- مناهج البحث في اللغة، الدكتور تمام حسان، ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٠م .
٤٦- النحو والدلالة، الدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف، ط أولى دار الشروق ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٤٧- همع الهوامع للسيوطي، تحقيق د/ عبد العال سالم مكرم، ط مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

بحوث علمية:

- القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي، الدكتور/ تمام حسان، مجلة اللسان العربي المجلد الحادي عشر الجزء الأول، يصدرها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط- المغرب .
- نظرية القرائن النحوية دراسة وصفية نقدية، الدكتور/ هشام السعيد حسن البلتاجي، حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية العدد الثاني والثلاثون، ٢٠١٧م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	٣٢٦
الدراسات السابقة.	٣٢٩
المبحث الأول: المعنى النحوي تنظيرا.	٣٣١
المعنى النحوي عند القدماء.	٣٣٢
المعنى النحوي عند المحدثين.	٣٣٥
المعنى النحوي والحكم الإعرابي.	٣٣٧
أولا: ارتباط المعنى النحوي بالحكم الإعرابي.	٣٣٧
ثانيا: الحكم قرينة من قرائن الكشف عن المعنى.	٣٣٨
المبحث الثاني: آراء الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو في ضوء المعنى النحوي.	٣٤٠
الآراء النحوية والمعنى.	٣٤٣
اختيار الرأي بناء على اختلاف المعنى مدعوما بالاستعمال.	٣٤٣
(كذلك) بمعنى (أيضا).	٣٤٣
اختيار الآراء المنفردة تأييدا للمعاني الصحيحة.	٣٤٥
معنى كاد	٣٤٥
معنى الواو في أسلوب التحذير.	٣٤٦
(كأنَّ) للتشبيه – تكرار العامل للتأكيد.	٣٤٦
معارضة الآراء المنفردة بناء على المعنى.	٣٤٦
النفي بـ(ما).	٣٤٧
(كأنَّ) للجحد.	٣٤٧
التقدير في (حضروا رجلا رجلا).	٣٤٧
القاعدة والمعنى.	٣٤٧
اختيار المعنى على حساب الصنعة النحوية.	٣٤٨
إعراب (أن) وما بعدها في (عسى زيد أن يذهب)	٣٤٨
تأويل المعنى أحيانا إذا لم تطمئن نفسه إلى أن هناك فرقا حقيقيا بين المعاني.	٣٥٠
الإبقاء على معنى الابتداء في (مِنْ).	٣٥٠
معنى (لعلّ).	٣٥٠

معنى (ظنَّ).	٣٥١
معنى (هل).	٣٥١
الاعتراض على إجازة إعرابين أو ترجيح أحدهما لأن المعنى مختلف.	٣٥٢
الفرق بين رفع الاسم المتقدم ونصبه في الاشتغال.	٣٥٢
جواز الرفع والجزم في الشرط.	٣٥٣
الخلاف في إعراب: (والصابئون).	٣٥٣
التقدير والمعنى.	٣٥٤
تقدير متعلق الجار والمجرور والظرف.	٣٥٥
وقوع المصدر خبرا عن الجثة.	٣٥٦
جواز وقوع الجملة الإنشائية المراد بها التشبيه نعتا.	٣٥٧
التداول والمعنى	٣٥٧
استخدام السياق ليفرق بين المعاني.	٣٥٧
(مِنْ) للتبعيض.	٣٥٧
معنى (مِنْ) الداخلة على بعض الظروف.	٣٥٧
الخلاف في المعنى بين وجود الأداة وعدمه أو اختلاف الأداة.	٣٥٩
الفرق بين سقوط الفاء وبقائها في جواب الاستفهام.	٣٥٩
الفرق بين التصريح باللام وإضمارها.	٣٦٠
الفرق بين وجود الفاء الجوازي وعدمه في جواب الشرط.	٣٦٠
الفرق بين التعليل بـ(إنَّ) و(أنَّ).	٣٦١
الخلاف في المعنى بين استعمالات الكلمات وتوظيفها.	٣٦١
الفرق بين (عَلِمَ) و(عَرَفَ).	٣٦١
تفرقته بين (علمتُه) و (علمتُ به).	٣٦٢
الفرق بين تعدي الفعل بـ (على) أو (مِنْ).	٣٦٢
الخاتمة	٣٦٣
فهرس المراجع والمصادر	٣٦٥
فهرس الموضوعات	٣٦٨